النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله وسلم وآله عليهم السلام

في القرآن الكريم

أ.د. حازم سليمان الحِلّي

The Prophet Muhammad (May Allah's Prayers and Peace be upon him and his Household) and his Family (Peace be upon them) In the Holy Quran

Prof. Dr. Hazem Sulaiman Al-Hilli

ملخَّص البحث

تناول البحثُ النبيَّ محمَّدًا ﷺ في القرآن الكريم، وتقديمه على سائر الأنبياء، بل وحتى أولي العزم، مع ذكر علَّة التقديم ومزيَّتها.

ثمَّ أردف يقارن ويستدل على أحقيَّة عترته وأرومته بالمودَّة والفضل، استدلالًا تامًا، ومن كتب الفريقَين، مستعينًا بما جادت به المدوَّنة التفسيريَّة والحديثيَّة.

كلُّ هذا حصل بطريقة مزجيَّة بين كلام الباحث والنَّصِّ القرآنيّ، وبصورة لافتة.

Abstract

The study examined the Prophet Muhammad in the Noble Qur'an, and his preference over other prophets, and even the most determined, with mentioning the reason for the preference and its merit.

Then he compared and inferred the eligibility of his household and his family with affection and virtue, in full inference, and from the books of the two schools, with the help of what the modern expository record has.

All this happened in a way that mixes the researcher's speech and the Qur'anic text, and in a remarkable way.

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[1]

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَى رَسُولِهِ أَبِي القَاسِمِ مُحَمَّدٍ وَأَلِهِ الطَّيِّبِيْنَ الطَّاهِرِيْنَ وَعَلَى جَمِيْعِ الأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِيْنَ، وَبَعْدُ، فَقَدْ ذَكَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الأَنْبِيَاءَ وَالْمُرْسَلِيْنَ وَذَكَرَ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا ﷺ فِي القُرْآنِ الكَرِيْمِ، فَلْنَتَدَبَّرِ القُرْآنَ، وَنُنْعِمَ النَّظَرَ فِي الذِّكْرِ الحَكِيْمِ وَنَرَى كَيْفَ كَانَ التَّعَامُلُ مَعَهُمْ وَمَعَ نَبِيِّنَا ﷺ.

عَقِيْدَةُ، الْمُسْلِمِيْنَ الصحيحة مِنْ حَيْثُ الْمَبْدَإِ هِيَ عَقِيدَةُ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَهِيَ مَا نَصَّ عَلَيْهِ القُرْآنُ الكَرِيْمُ. ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾[2].

نعتقد: أنّ اللهَ تَعَالَى وَاحِدٌ أَحَدٌ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[3] ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾[4]. قَدِيمٌ لَمْ يَزَلْ وَلاَ يَزَالُ، هُوَ الاَوّل وَالآخِرُ، عَلِيْمٌ، حَكِيْمٌ، ﴿فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[5]، عَادِلٌ وَيَأْمُرُ بِالعَدْلِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ

(١) الفاتحة: ١/ ١، والنمل ٢٧/ ٣٠.
(٢) البقرة: ٢/ ٢٨٥.
(٣) الشورى: ٤٢/ ١١.
(٤) الإخلاص: ١١٢/ ١-٤.
(٥) البقرة: ٢/ ٢٠٩.

وَٱلْبَغْيِ ﴾[1]، حَـيٌّ ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾[2]، قَـادِرٌ، ﴿ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾[3]، غَنِـيٌّ ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾[4]، و﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾[5]، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[6]، وَلا يُوْصَـفُ بِـمَا تُوصَفُ بِهِ المَخْلُوقاتُ؛ فَلَيْسَ هُوَ بِجِسْـمٍ، وَلا صُـوْرَةٍ، وَلِيْـسَ جَوْهَرًا وَلا عَرَضًـا، وَلَيْسَ لَهُ ثِقَلٌ أَوْ خِفَّةٌ، وَلا حَرَكَةٌ أَو سُـكُونٌ، وَلا مَـكَانٌ وَلا زَمَانٌ، وَلا يُشَـارُ إِلَيْهِ. كَمَا لا نِدَّ لَهُ، وَلا شَـبَهٌ، وَلا ضِـدّ، وَلا صَاحِبَةٌ لَهُ وَلا وَلَـدٌ، وَلا شَرِيْكٌ، وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ، ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[7]، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾[8]، وَمَـنْ قَـالَ بِالتَّشْـبِيْهِ فِي خَلْقِهِ، بِأَنْ صَوَّرَ لَهُ وَجْهًا وَيَدًا، وَجَعَلَ كِلْتَيْهِمَا يَمِيْنًا وَعَيْنًا، أَوْ أَنَّهُ يَنْزِلُ إِلَى السَّـمَاءِ الدُّنْيَا، أَو أَنَّهُ يَظْهَـرُ إِلَى أَهْلِ الجَنَّـةِ كَالقَمَرِ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَةِ الكَافِرِ بِهِ، جَاهِلٌ بِحَقِيْقَةِ الخَالِقِ المُنَـزَّهِ عَـنِ النَّقـصِ ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[9]، بَـلْ كُلُّ مَـا مَيَّزْنَـاهُ بِأَوْهَامِنَـا فِي أَدَقِّ مَعَانِيـهِ فَهُوَ مَخْلُوْقٌ، وَنَعْتَقِدُ: بِأَنَّهُ يَجِبُ تَوْحِيـدُ اللهِ تَعَالَى فِي الذَّاتِ وَفِي الصِّفَـاتِ، وَذَلِكَ بِالاعْتِقَـادِ بِأَنَّ صِفَاتِهِ عَيْنُ ذَاتِـهِ وَبِالاعْتِقَادِ بِأَنَّهُ لا شِـبْهَ لَهُ فِي صِفَاتِهِ

(١) النحل: ١٦/ ٩٠.
(٢) البقرة: ٢/ ٢٥٥، وآل عمران: ٣/ ٢.
(٣) الأنعام: ٦/ ٦٥.
(٤) الحديد: ٥٧/ ٢٤، والممتحنة: ٦٠/ ٦.
(٥) الحج: ٢٢/ ٧٥، ولقمان: ٣١/ ٢٨، والمجادلة: ٥٢/ ١.
(٦) الشورى: ٤٢/ ١١.
(٧) الأنعام: ٦/ ١٠٣.
(٨) الشورى: ٤٢/ ١١.
(٩) الزمر: ٣٩/ ٦٧.

الذَّاتِيَّةِ؛ فَهُوَ فِي العِلْمِ وَالقُدْرَةِ لا نَظِيْرَ لَهُ وَفِي الخَلْقِ وَالرِّزْقِ، لا شَرِيكَ لَهُ، وَلا ندَّ لَهُ[1]، وَقَدْ آمَنَّا ﴿بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ و﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

تحَدَّثَ القُرْآنُ عَنِ الأَنْبِيَاءِ فَسَمَّاهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2]، ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾[3]، وَيَقُولُ عَنْ نُوحٍ عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾[4]، ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾[5] وَعَنْ شَيْخِ الأَنْبِيَاءِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام يَقُولُ: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾[6]، ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِىۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[7]، فَلَمَّا اخْتَبَرَهُ رَبُّهُ وَاجْتَازَ الاخْتِبَارَ بِنَجَاحٍ رَشَّحَهُ تَعَالَى إِلَى رُتْبَةٍ أَعْلَى بِقَوْلِهِ عليه السلام: ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾، فَبَعْدَ أَنْ كَانَ عليه السلام نَبِيًّا ثُمَّ صَارَ رَسُولاً، فَخَلِيْلاً رَشَّحَهُ رَبُّهُ، وَ﴿قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾، فَأَعْجَبَتْهُ هَذِهِ المَنْزِلَةُ المُتَمَيِّزَةُ: ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِىۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[8]، لأَنَّ مَنْ تَلَبَّسَ بِثَوْبِ الظُّلْمِ لَا يَخْتَارُهُ أَيْ لا يَجْعَلُهُ اللهُ إِمَامًا وَلا يَخْتَارُهُ لِلإِمَامَةِ، مُمْكِن هُوَ يُرَشِّحُ نَفْسَهُ لِلْحُكْمِ عِنْدَمَا تَكُوْنُ الظُّرُوْفُ مُوَاتِيَةً وَمُنَاسِبَةً، قَالَ اللهُ كَمَا تَقَدَّمَ ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ

(١) عقائد الإمامية: ٢٧.
(٢) البقرة: ٢/ ٣٥.
(٣) طه: ٢٠/ ١١٥.
(٤) هود: ١١/ ٢٥.
(٥) الأنبياء: ٢١/ ٧٦.
(٦) مريم: ١٩/ ٤١.
(٧) البقرة: ٢/ ١٢٤.
(٨) البقرة: ٢/ ١٢٤.

رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾، فَالإِمَامَةُ جَعْلِيَّةٌ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِنَصِّ القُرْآنِ المُتَقَدِّمِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴾[1]، فَهَؤُلاءِ جَعَلَهُمُ اللهُ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِهِ، وَهُنَاكَ أَئِمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴾[2]، وَظَاهِرُ آيَةِ القِصَصِ، أَنَّ اللهَ تَعَالَى جَعَلَهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ، كَمَا جَعَلَ الأَنْبِيَاءَ أَئِمَّةً وَهُدَاةً يَدْعُونَ إِلَى الجَنَّةِ وَالهُدَى، وَهَذَا مَا لا يَقُولُ بِهِ أَحَدٌ، فَاللهُ تَعَالَى أَخْبَرَ عَنْ حَالِهِمْ بِذَلِكَ وَحَكَمَ بِأَنَّهُمْ كَذَلِكَ، وَمَعْنَى دُعَائِهِمْ إِلَى النَّارِ، أَنَّهُمْ كَانُوا يَدْعُونَ إِلَى الأَعْمَالِ التِي يَسْتَحِقُّونَ بِهَا دُخُولَ النَّارِ كَالكُفْرِ وَالمَعَاصِي[3]، فَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا يَأْمُرُ بِهَذَا وَلا يَقْبَلُ بِهِ وَيُعَاقِبُ عَلَيْهِ.

وَيَقُولُ القُرْآنُ الكَرِيمُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام: ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ ۖ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴾[4]، ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾[5]، وَعَنْ مُوسَى عليه السلام يَقُولُ: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ۚ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[6]، وَعَنْ عِيسَى بنِ مَرْيَمَ وَهُوَ رُوحُ اللهِ يَقُولُ القُرْآنُ الكَرِيمُ: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ

(١) الأنبياء: ٢١/ ٧٣.
(٢) القصص: ٢٨/ ٤١.
(٣) مجمع البيان: ٧/ ٣١٩.
(٤) الأنبياء: ٢١/ ٧١-٧٢.
(٥) البقرة: ٢/ ٢٦٠.
(٦) الأعراف: ٧/ ١٤٣.

مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾[1]، ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾[2]، ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾[3]، ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴾[4]، ﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[5]، ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾[6].

هكذا يَذْكُرُ القُرْآنُ الأَنْبِيَاءَ عليهم السلام بِأَسْمَائِهِمْ، وَبِمَا يُنَاسِبُهُمْ مِنْ إِجْلالٍ وَتَقْدِيرٍ، وَإِذَا تَحَدَّثَ عَنْ نَبِيِّنَا أَبِي القَاسِمِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم يَخْتَلِفُ الخِطَابُ فَيَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَهُ صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[7]، ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾[8]، وَحَكَى الإِمَامُ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ البَاقِرُ عَنْ أَبِيهِ عَلِيِّ ابنِ الحُسَيْنِ زَيْنِ العَابِدِيْنَ عَنْ أَبِيْهِ الحُسَيْنِ عَنْ أَبِيْهِ أَمِيْرِ المُؤْمِنِيْنَ عَلِيِّ بنِ أَبِي

(١) المائدة: ٥/ ١١٦.
(٢) مريم: ١٩/ ٥٤.
(٣) مريم: ١٩/ ٥٦.
(٤) الأنبياء: ٢١/ ٨٣-٨٤.
(٥) الأنبياء: ٢١/ ٨٥.
(٦) الأنبياء: ٢١/ ٨٧-٩٠.
(٧) القلم: ٦٨/ ٤.
(٨) الأنفال: ٨ / ٣٣.

طَالِبٍ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: «كَانَ فِي الْأَرْضِ أَمَانَانِ مِنْ عَذَابِ اللهِ سُبْحَانَهُ، وَقَدْ رُفِعَ أَحَدُهُمَا، فَدُونَكُمُ الآخَرَ فَتَمَسَّكُوا بِهِ: أَمَّا الْأَمَانُ الَّذِي رُفِعَ فَهُوَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله، وَأَمَّا الأَمَانُ الْبَاقِي فَالاسْتِغْفَارُ، قَالَ اللهُ عز وجل: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾»، وَقَالَ الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ (ت ٤٠٦) مُعَقِّبًا: وَهَذَا مِنْ مَحَاسِنِ الاسْتِخْرَاجِ وَلَطَائِفِ الاسْتِنْبَاطِ[1]

وَصَاغَهُ رَبُّهُ الذِي أَرْسَلَهُ كَمَا شَاءَ فَعَلَّمَهُ مَكَارِمُ الأَخْلاقِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[2]، ﴿ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾[3].

لَمَّا أَمَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نَبِيَّهُ بِالدَّعْوَةِ إِلَيْهِ وَتَبْلِيغِ رِسَالَتِهِ، أَكَّدَ أَنْ تَكُونَ الدَّعْوَةُ كَمَا وَجَّهَهُ ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[4]، وَعَلَّمَهُ سُبْحَانَهُ مَحَاسِنَ الأَفْعَالِ وَمَكَارِمَ الأَخْلاقِ فَقَالَ لَهُ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾، والأَخْذُ بِالشَّيءِ مُلازَمَتُهُ وَعَدَمُ مُفَارَقَتِهِ، فَخُذْ يَا مُحَمَّدُ! مِمَّا عَفَا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ أَيْ: مِمَّا زَادَ وَفَضَلَ عَنْ قُوتِ السَّنَةِ عَنِ الإِمَامِ مُحَمَّدٍ البَاقِرِ عليه السلام، وَالعَفْوُ أَيْضًا أَطْيَبُ المَالِ[5]، أَوْ خُذِ العَفْوَ مِنْ أَخْلاقِهِمْ وَاقْبَلِ المَيْسُورَ مِنْهَا، يَعْنِي أَمَرَهُ بِالتَّسَاهُلِ، وَتَرْكِ الاسْتِقْصَاءِ، وَهَذَا يَكُونُ فِي الحُقُوقِ الوَاجِبَةِ للهِ وَلِلنَّاسِ وَفِي غَيْرِهَا، وَهُوَ فِي مَعْنَى الخَبَرِ «أَحَبَّ اللهُ عَبْدًا سَمِحًا بَائِعًا وَمُشْتَرِيًا، قَاضِيًا وَمُقْتَضِيًا»[6]، أَوْ هُوَ العَفْوُ مِنْ قَبُولِ العُذْرِ مِنَ المُعْتَذِرِ وَتَرْكُ المُقَابَلَةِ بِالإِسَاءَةِ، وَمُلازَمَةُ

(١) نهج البلاغة، تحقيق الشيخ محمد عبده: ٤/ ١٩-٢٠.
(٢) الأعراف: ٧/ ١٩٩.
(٣) الحجر: ١٥/ ٩٥.
(٤) النحل: ١٦/ ١٢٥.
(٥) مجمع البيان: ٢/ ٦٨.
(٦) مجمع البيان: ٤/ ٣٧.

السَّـتْرِ عَلَى إِسَاءَةِ مَنْ أَسَاءَ، وَالإِعْرَاضُ عَنْ حَقِّ الانْتِقَامِ الذِي يُعْطِيهِ العَقْلُ الاجْتِمَاعِيُّ لِبَعْضِهِـمْ عَلَى بَعْضٍ[1]، أَوْ تَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَكَ، وَتُعْطِي مَنْ حَرَمَكَ، وَتَصِلُ مَنْ قَطَعَكَ، ﴿ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ ﴾ يَعْنِي بِالمَعْرُوفِ، وَهُوَ كُلَّمَا حَسَّـنَهُ العَقْـلُ قَبْلَ الشَّرْعِ، وَلَمْ يَكُنْ مُنْكَرًا، وَلا قَبِيحًا عِنْدَ العُقَلاءِ، أَوْ بِكُلِّ خَصْلَةٍ حَمِيْدَةٍ، ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾، وَلا تُقَابِلْهُمْ بِالسَّـفَهِ صِيَانَـةً لِقَدْرِكَ، فَإِنَّ مُحَارَبَةَ السَّـفِيهِ تَضَـعُ مِنَ القَدْرِ[2]، والإِعْـرَاضُ عَنْ جَهْلِ الجَاهِلَـيْنَ أَقْصَرُ طَرِيْقٍ لإِبْطَالِ نَتَائِجِ جَهْلِهِمْ، وَتَقْلِيْلِ فَسَـادِ أَعْمَالِهِمْ، فَإِنَّ مُقَابَلَةَ الجَاهِلِ بِمِثْلِ جَهْلِهِ إِغْرَاءٌ لَهُ بِالجَهْلِ وَ الإِدَامَةِ عَلَى الغَيِّ والضَّلالِ[3].

اهْتَـمَّ بِهِ رَبُّهُ الذِي أَرْسَـلَهُ رَحْمَةً، وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ وَسِرَاجًا مُنِـيرًا، وَمِمَّا أَنْزَلَ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَـالَى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[4]، وَعَنِ الإِمَامِ جَعْفَرِ بنِ مُحَمَّدٍ الصَّـادِقِ عليه السلام: أمـر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بِمَـكَارِمِ الأَخْـلاقِ، وَلَيْسَ فِي القُـرْآنِ آيَةٌ أَجْمَعُ لِمَكَارِمِ الأَخْلاقِ أَجْمَعُ مِنْهَا[5].

وَيُقْسِـمُ اللهُ سُـبْحَانَهُ وَتَعَـالَى بِحَيَاتِـهِ صلى الله عليه وآله وسلم بِقَوْلِهِ تَعَـالَى: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[6].

كَـمْ بَيْنَ مَنْ أَقْسَمَ اللّٰهُ العَلِيُّ بِهِ
وَبَيْنَ مَنْ جَاءَ بِاسْمِ اللّٰهِ بِالقَسَمِ[7]

(١) الميزان: ٨/ ٣٨٤.
(٢) الكشاف: ٢/ ٤٤٤، ومجمع البيان: ٢/ ٦٨ و٤/ ٣٧، والميزان: ٨/ ٣٨٣-٣٨٤.
(٣) الميزان: ٨/ ٣٨٤.
(٤) الأعراف: ٧/ ١٩٩.
(٥) الكشاف: ٢/ ٤٤٤.
(٦) الحجر: ١٥/ ٧٢.
(٧) البيـت لصفـيّ الدين الحِلِّـيّ من بديعيتـه، وديوان صفيّ الدين الحِلِّـيّ: ٦٩١، وشرح الكافية البديعية لصفيّ الدين الحِلِّيّ: ١٣٧،

﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾[1]، قَالُوا هَذِهِ أَرْجَى آيَةٍ فِي كتَابِ الله، قَالَ مُحَمَّدُ ابنُ الحَنَفِيَّةِ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِ: أَرْجَى آيَةٍ فِي كِتَابِ الله قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾، وَهِيَ وَالله الشَّفَاعَةُ، لَيُعْطِيَنَّهَا، فِي أَهْلِ: لا إِلَهَ إِلا اللهُ، حَتَّى يَقُولَ رَبِّ رَضِيتُ، وَقَالَ الإِمَامُ جَعْفَرُ بنُ مُحَمَّدٍ الصَّادِقُ عليهما السلام: رِضَا جَدِّي رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله أَلا يَبْقَى فِي النَّارِ مُوَحِّدٌ[2].

وَأَخْرَجَ ابنُ مَرْدويهِ وَأَبُو نُعَيْمٍ، فِي الحِلْيَةِ، مِنْ طَرِيْقِ حَرْبِ بنِ سُرَيْجٍ قَالَ: قُلْتُ لأَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ البَاقِرِ بنِ عَلِيِّ بنِ الحُسَيْنِ عليهم السلام: أَرَأَيْتَ هَذِهِ الشَّفَاعَةَ التِي يَتَحَدَّثُ بِهَا أَهْلُ العِرَاقِ؟ أَحَقٌّ هِيَ؟

قَالَ: إِيْ وَالله، حَدَّثَنِي عَمِّي مُحَمَّدُ بنُ الحَنَفِيَّةِ عَنْ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام قَالَ: إِنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وآله قَالَ: أَشْفَعُ لأُمَّتِي حَتَّى يُنَادِينِي رَبِّي: أَرَضِيتَ يَا مُحَمَّدُ؟!

فَأَقُولُ نَعَمْ يَا ربِّ! رَضِيتُ. ثُمَّ أَقْبَلَ الإِمَامُ مُحَمَّدٌ البَاقِرُ عليه السلام عليَّ فَقَالَ: إِنَّكُمْ تَقُولُونَ يَا مَعْشَرَ أَهْلِ العِرَاقِ: إِنَّ أَرْجَى آيَةٍ فِي كِتَابِ اللهِ ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾[3].

قُلْتُ: إِنَّا لَنَقُولُ ذَلِكَ.

قَالَ عليه السلام: فَكُلُّنَا أَهْلَ البَيْتِ نَقُولُ: إِنَّ أَرْجَى آيَةٍ فِي كِتَابِ اللهِ ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾ الشَّفَاعَةَ[4].

لِأَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله لَا يَرْضَى حَتَّى يَخْرُجَ آخَرُ مُسلِمٍ مِنْ أُمَّتِهِ مِنَ النَّارَ، وَأَرْجَى مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ

(١) الضحى: ٩٢/ ٥.
(٢) مجمع البيان: ١٠/ ٢٩٤.
(٣) الزمر: ٣٩/ ٥٣.
(٤) الميزان: ٢٠/ ٣٥٦.

﴿وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾[1].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[2].

اسْتُهِلَّتْ سَبْعُ سُوَرٍ فِي القُرْآنِ الكَرِيْمِ بِالتَّسْبِيْحِ وَهِيَ: الإِسْرَاءُ، وَالحَدِيْدُ، وَالحَشْرُ، وَالصَّفُّ، وَالجُمُعَةُ، وَالتَّغَابُنُ، وَالأَعْلَى، وَجَاءَتْ: بِالمَصْدَرِ ﴿سُبْحَانَ﴾ وَبِالفِعْلِ المَاضِي ﴿سَبَّحَ﴾، وَبِالفِعْلِ المُضَارِعِ ﴿يُسَبِّحُ﴾ وَبِالفِعْلِ الأَمْرِ ﴿سَبِّحِ﴾، إِشَارَةً إِلَى دَوَامِ التَّسْبِيْحِ، وَ﴿سُبْحَانَ﴾ نُصِبَ عَلَى المَصْدَرِيَّةِ وَمَعْنَى ﴿سُبْحَانَ ٱللَّهِ﴾[3] أَوْ ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى﴾[4] أَيْ: أُنَزِّهُ اللهَ تَعَالَى تَنْزِيْهًا مِنَ الصَّاحِبَةِ وَالوَلَدِ أَيْ أُبَرِّئُ اللهَ بَرَاءَةً[5]، أَيْ يُنَزِّهُهُ سُبْحَانَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَيَشْهَدُ لَهُ بِالوَحْدَانِيَّةِ وَالرُّبُوْبِيَّةِ بِمَا رُكِّبَ فِيْهَا مِنْ بَدَائِعِ الصَّنْعَةِ وَعَجَائِبِ الحِكْمَةِ الدَالَةِ عَلَى أَنَّهُ قَادِرٌ عَالِمٌ حَيٌّ قَدِيْمٌ حَكِيْمٌ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[6]، ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[7].

و﴿سُبْحَانَ﴾ مَصْدَرٌ وَالمَصْدَرُ عِنْدَ البَصْرِيِّينَ هُوَ الأَصْلُ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَ مَصْدَرًا، وَمِنْهُ اشْتُقَّ الفِعْلُ وَسَائِرُ المُشْتَقَاتِ[8] وَيَلِيهِ الفِعْلُ المَاضِي فَالمُضَارِعُ فَالأَمْرُ، وَعِنْدَ الكُوفِيِّينَ الفِعْلُ هُوَ الأَصْلُ وَمِنْهُ أُخِذَ المَصْدَرُ. وَلِلنَّحْوِ مَدْرَسَتَانِ لَا ثَالِثَ لَهُمَا؛ هُمَا:

(١) الشورى: ٤٢ / ٣٠.
(٢) الجمعة: ٦٢/ ٢.
(٣) الصافات: ٣٧/ ١٥٩ من قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾.
(٤) الإسراء: ١٧/ ٩٣ من قوله تعالى: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾.
(٥) القاموس المحيط: سبح، ولسان العرب: سبح.
(٦) الشورى: ٤٢/ ١١.
(٧) الإسراء: ١٧/ ٤٤.
(٨) النحو المبين: ١/ ٢٤٣.

مَدْرَسَـةُ البَصْرَةِ، وَزَعِيْمُهَا سِيْبَوَيْهِ (ت ١٨٠ هـ) وَمَدْرَسَةُ الكُوفَةِ وَزَعِيْمُهَا عَلِيُّ بنُ حَمْزَةَ الكِسَـائِيُّ (ت ١٨٩ هـ) وَيحْيَى بنُ زِيَادٍ الفَرَّاءُ (ت ٢٠٧ هـ) وَزَعِيْمُ المَدْرَسَـتَيْنِ الخَلِيْلُ بنُ أَحْمَدَ الفَرَاهِيْدِي (ت ١٧٥ هـ)[١].

وَفِي القُرْآنِ الكرِيمِ هَكَذَا جَاءَتِ السُّوَرُ:

١. فَالْمُتَقَدِّمَةُ مِنْهَا وَهِيَ الإِسْرَاءُ اسْتُهِلَّتْ بِالمَصْدَرِ.

قَـالَ تَعَـالَى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ﴾[٢].

٢. وَتَلِيْهَـا ثَـلاثُ سُـوَرٍ هِـيَ الحَدِيْدُ وَالحَـشْرُ وَالصّـفُّ افْتُتِحَتْ بِالفِعْـلِ المَاضِي ﴿ سَبَّحَ ﴾. قَالَ تَعَالَى: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[٣].

وَقَالَ فِي سُـورَتَي الحَشْرِ وَالصَّفِّ: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[٤].

٣. وَبَعْدَهَا سُـوْرَتَا الجُمُعَةِ وَالتَّغَابُنِ تَبْدَأُ كُلٌّ مِنْهُمَا بِالفِعْلِ المُضَارِعِ ﴿ يُسَبِّحُ ﴾. قَالَ تَعَالَى فِي سُوْرَتِي الجُمُعَةِ وَالتَّغَابُنِ: ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾[٥].

(١) اقرأ عن المدرسـتَين: مدرسـة الكوفة للدكتور المخزوميّ، ومدرسة البصرة للدكتور عبد الرحمن السـيِّد، وعن سـيبويه كتاب: سـيبويه إمام النحاة لعـليّ النجديّ ناصف،وسـيبويه حياته وكتابه للدكتورة خديجة الحديثيّ، وسـيبويه حياته وكتابه مقالة للدكتور أحمد بدوي منشـورة في صحيفة دار العلوم، يناير ١٩٤٨م. وعن الكسائيّ إقرأ: بغية الوعاة: ٢/ ١٦٢، وأصول التلاوة: ٢٣، وعن الفـرَّاء إقرأ كتاب أبو زكريا الفرَّاء ومذهبه في النحو واللغة، وبغية الوعاة: ٢/ ٣٣٣، وعن الخليل إقـرأ: بغيةالوعاة: ١/ ٥٥٧، والخليل بـن أحمد الفراهيديّ أعماله ومنهجـه، للدكتور المخزوميّ، والخليل رائد علم الصوت، لكاتب هذه السطور، والتفكير الصوتيّ عند الخليل لحلمي خليل.

(٢) الإسراء: ١٧/ ١.

(٣) الحديد: ٥٧/ ١.

(٤) الحشر: ٥٩/ ١ والصف: ٦١/ ١.

(٥) الجمعة: ٦٢/ ١ والتغابن: ٦٤/ ١.

٤. واستُهِلَّتْ سُورَةُ الأعلى التِي جَاءَتْ بَعْدَ هَذِهِ السُّوَرِ بِالفِعْلِ الأَمْرِ ﴿سَبِّحِ﴾.

قَالَ تَعَالَى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾[١]. وَيُلاحَظُ أَنّ تَسَلْسُلَ السّوَرِ التِي ابْتَدَأَتْ بِالمَصْدَرِ وَالفِعْلِ المَاضِي وَالأَمْرِ كَانَ فَرْدِيّاً وَهِيَ السُّورُ: ١٧ و٥٧ و٥٩ و٦١ و٨٧، وأَنَّ السُّورَتَيْنِ اللتَيْنِ اسْتُهِلَتَا بِالفِعْلِ المُضَارِعِ كَانَ تَرْتِيبُهُمَا زَوْجِيّاً وَهُمَا السُّورَتَانِ: ٦٢ و٦٤. فَسُبْحَانَ اللهِ الذِي ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾[٢]. وَكَمْ فِي الكِتَابِ العَزِيزِ مِنْ أَسْرَارٍ وَكُنُوزٍ[٣].

قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ﴾ يُرَادُ بِالأُمِيينَ أَهْلُ مَكَّةَ، لأَنَّ مَكَّةَ كَانَتْ تُسَمَّى أُمَّ القُرَى، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾[٤]، أَوْ يَعْنِي العَرَبَ، وَكَانَتْ أُمَّةً أُمِّيَّةً، أَغْلَبُهُمْ لا يَعْرِفُ القِرَاءَةَ وَالكِتَابَةَ، مَعَ اشْتِهَارِهِمْ بِالبَلاغَةِ وَالفَصَاحَةِ وَالشِّعْرِ، وَلَمْ يُبْعَثْ إِلَيْهِمْ نَبِيٌّ، وَمِنْ لُطْفِهِ وَنِعْمَتِهِ عَلَيْهِمْ بَعَثَ فِيهِمْ ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾، هُوَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ ﷺ وَهُوَ مِنْ نَسَبِهِمْ، وَمِنْ جِنْسِهِمْ، كَمَا جَاءَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٥]، وَوَجْهُ النِّعْمَةِ وَالامْتِنَانِ عَلَيْهِمْ بِأَنْ جَعَلَ النُّبُوَّةَ فِي رَجُلٍ أُمِّيٍّ، تَصْدِيقًا لِمَا بَشَّرَ بِهِ الأَنْبِيَاءُ المُتَقَدِّمُونَ، وَمَا جَاءَ فِي الكُتُبِ المُنْزَلَةِ عَلَيْهِمْ، وَهُوَ أَبْعَدُ مِنْ تَوَهُّمِ الاسْتِعَانَةِ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ مِنَ الحِكْمَةِ التِي تَلاهَا، وَعَلَّمَهَا لِلنَّاسِ، وَأَقْرَبُ إِلَى العِلْمِ بِأَنَّ مَا أَخْبَرَهُمْ بِهِ

(١) الأعلى: ٨٧/ ١.

(٢) الأنعام: ٦/ ٦٢.

(٣) للاستزادة ينظر في: البرهان: ١/ ٢١٤ ولطائف قرآنيّة: ٣٨، وقبس من أسرار القرآن الكريم، بحث لكاتب هذه السطور في مجلّة المصباح العدد: ١٣ لسنة ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م: ٦٩-١١٤.

(٤) الأنعام: ٦/ ٩٢.

(٥) التوبة: ٩/ ١٢٨.

مِـنْ أَخْبَارِ الأُمَمِ المَاضِيَةِ، وَالقُرُونِ الخَالِيَـةِ، وفَاقًا لِـمَا فِي كُتُبِهِمْ، مَا كَانَ إِلَّا وَحْيًا مِنَ اللهِ ﴿ يَتْـلُواْعَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ ﴾ بِمَعْنَى يَقْرَأُ عَلَيْهِمُ القُرْآنَ المُشْـتَمِلَ عَلَى أَحْكَامِ الحَلَالِ وَالحَرَامِ، وَأَحْكَامِ عِبَادَتِهِمْ مِنَ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ وَالحَجِّ وَالزَّكَاةِ وَغَيْرِهَا، ﴿ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ أَيْ يُطَهِّرُهُمُ مِـنَ الـشِّرْكِ وَالذُّنُـوبِ ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ أَيْ يُعَلِّمُهُـمُ القُـرْآنَ وَالشَّرَائِـعَ ﴿ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾، وَمَـا كَانُـوا قَبْلَ البِعْثَةِ النَّبَوِيَّـةِ إِلَّا فِي ظَلَامٍ دَامِسٍ مِنَ الجَهْـلِ بِالشَّرَائِعِ وَالشِّرْكِ الوَاضِحِ، بِمَا يَعْبُدُونَ مِنْ أَوْثَانٍ، وَجَرَائِمَ مِنْ وَأْدِ البَنَاتِ وَأَكْلِ الرِّبَا وَغَيْرِهَا.

﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[1]، وَيَعْلَمُ آخَرِيْنَ مِنَ المُؤْمِنِيْنَ.

﴿ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ ۚ ﴾ وَهُـمُ التَّابِعُـونَ وَتَابِعُوهُمْ إِلَى يَـومِ القِيَامَةِ، فَقَدْ بَعَثَـهُ اللهُ إِلَيْهِمْ جَمِيْعًـا[2]، وَهُوَ صلى الله عليه وآله يُفَكِّـرُ فِي أُمَّتِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَيُحَاوِلُ حِيَاشَـتَهُم عِـنِ النَّارِ،فَفِي كُتُبِ الصِّحَاحِ وَمِنْهَا صَحِيْحُ البُخَارِيِّ وَمُسْـلِمٍ وَمُسْـنَدُ أَحْمَدَ وَغَيْرِهَا: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله:

«أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُم وَيُقَالُ لَـهُمُ: هُلُمَّ، أَقُولُ: إِلَى أَيْنَ؟

فَيُقَالُ إِلَى النَّارِ ثُمَّ تَأْتِي زُمْرَةٌ حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ قِيْلَ: لَـهُمْ هَلُمَّ فَأَقُولُ: إِلَى أَيْنَ؟

يُقَالُ: إِلَى النَّارِ، لَا تَدْرِي مَاذَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، لَقَدْ رَجَعُوا بَعْدَكَ القَهْقَرَى.

فَأَقُوْلُ: سُحْقًا سُحْقًا لِـمَنْ أَحْدَثَ بَعْدِي»[3].

وَقَـالَ اللهُ تَعَـالَى عَـنْ نَبِيِّنَـا مُحَمَّـدٍ صلى الله عليه وآله: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا

(١) الجمعة: ٦٢/ ٣.

(٢) مجمع البيان: ١٠/ ٥٧.

(٣) صحيـح البخاريّ: الحديث: ٦٦٤٣، وفتح الباري شرح صحيح البخاريّ: الحديث: ٦٢٠٥، وصحيح مسـلم بـشرح النوويّ: الحديث: ٢٢٩٧، و٦٢١٣، ومسـند أحمـد: الحديث: ٣٦٣٢ و٣٨٠٢ و٤٣٢٠ و٢٢٨٢٦، وغيرها.

﴿وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[1]، ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾[2]، و﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[3]، وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ تحذيرٌ لَهُمْ مِنْ مُخَالَفَةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم، تَأْكِيدًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى[4]: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾، قَالَ الإِمَامُ الصَّادِقُ عليه السلام: «مَا أَعْطَى اللهُ نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ شَيْئًا إِلَّا وَقَدْ أَعْطَى مُحَمَّدًا صلى الله عليه وآله وسلم مِثْلَهُ، قَالَ لِسُلَيْمَانَ عليه السلام: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[5] وَقَالَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾، ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ فِي تَرْكِ المَعَاصِي، وَفِعْلِ الوَاجِبَاتِ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ لِمَنْ عَصَاهُ وَتَرَكَ أَوَامِرِهِ وَفِي هَذِهِ الآيَةِ إِشَارَةٌ إِلَى إِحَالَةِ تَدْبِيْرِ أُمُورِ الأُمَّةِ إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم، وَالأَئِمَّةِ القَائِمِيْنَ مَقَامَهُ مِنْ بَعْدِهِ عليهم السلام[6]، وَهَذَا اهْتِمَامٌ بِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم، وَهُوَ أَمْرٌ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، بِطَاعَتِهِ وَتَحْذِيرٌ مِنْ مُخَالَفَتِهِ.

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾[7]، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا

(١) النجم: ٥٣/ ٣-٤.
(٢) الأحزاب: ٣٣/ ٣٦.
(٣) الحشر: ٥٩/ ٧.
(٤) مجمع البيان: ٩/ ٣٣٢، والميزان: ١٩/ ٢١٢.
(٥) سورة: ص: ٣٨/ ٣٩.
(٦) مجمع البيان: ٩/ ٣٣٢.
(٧) النساء: ٤/ ٦٥.

رَّحِيمًا ﴾[1]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ ﴾[2]، و﴿ لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضًاۚ قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمۡ لِوَاذٗاۚ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[3]، و﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗ ﴾[4]، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴾[5]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾[6]، ﴿ إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ﴿١﴾ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصۡرًا عَزِيزًا ﴾[7]، أَيْ إِنَّا قَضَيْنَا لَكَ يَا مُحَمَّدُ صلى الله عليه وآله، وَيَسَّرْنَا لَكَ يُسْرًا بَيِّنًا، أَوْ أَعْلَمْنَاكَ وأَخْبَرْنَاكَ فِي مَا أَنْزَلْنَا عَلَيكَ مِنَ القُرْآنِ، أَو مَعْنَاها أَرْشَدْنَاكَ إِلَى الإِسْلامِ وَفَتَحْنَا لَكَ أَمْرَ الدِّينِ، ثُمَّ اخْتُلِفَ فِي هَذَا الفَتْحِ:

هُوَ فَتْحُ مَكَّةَ وَعَدَّهُ اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ صلى الله عليه وآله عَامَ الحُدَيْبِيَةِ، فِي ذِي القِعْدَةِ الحَرَامِ فِي العَامِ السَّادِسِ لِلْهِجْرَةِ / ٦٢٨م. لأَنَّ الهِجْرَةَ النَّبَوِيَّةَ كَانَتْ عَامَ ٦٢٢م. وَكَانَ المُسْلِمُونَ أَلْفًا وَخَمْسِمَائَةٍ، وَنَزَلَتِ الآيَةُ عِنْدَ رُجُوعِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله مِنَ الحُدَيْبِيَةِ فَبُشِّرَ بِفَتْحِ مَكَّةَ أَيْ إِنَّا قَدَّرْنَا لَكَ فَتْحَ مَكَّةَ وَالانْتِصَارَ عَلَى أَهْلِهَا، وَقَالَ جَابِرُ بنُ عَبْدِ اللهِ الأَنْصَارِيُّ: مَا كُنَّا نَعْرِفُ فَتْحَ مَكَّةَ إِلَّا يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ[8].

(١) النساء: ٤/ ٦٤.
(٢) الحجرات: ٤٨/ ٢.
(٣) النور: ٢٤/ ٦٣.
(٤) المجادلة: ٥٨/ ١٢
(٥) الأحزاب: ٣٣/ ٥٧.
(٦) الأحزاب: ٣٣/ ٤٥-٤٦.
(٧) الفتح: ٤٨/ ١-٣.
(٨) مجمع البيان: ٩/ ١٤٠.

أَوِ الْمُـرَادُ بِالفَتْحِ صُلْحُ الحُدَيْبِيَةِ، فَلَمْ يَكُنْ فَتْحٌ أَعْظَمَ مِنْ صُلْحِ الحُدَيْبِيَةِ، فَقَدِ الْتَقَى الْمُشْرِكُوْنَ بِالْمُسْلِمِيْنَ وَاسْتَمَعُوا إِلَى رَسُولِ اللهِ وَإِلَيْهِمْ وَرَسَخَ كَلامُهُمْ فِي قُلُوْبِ الْمُشْرِكِيْنَ، فَأَسْلَمَ فِي ثَلاثِ سِنِيْنَ بَعْدَ الصُّلْحِ خَلْقٌ كَثِيْرٌ، كَثُرَ بِهِمْ سَوَادُ الْمُسْلِمِيْنَ.

أَوْ الْمُرَادُ بِالفَتْحِ فَتْحُ خَيْبَرَ أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ، وَالْمُخْتَارُ مِنْهَا فَتْحُ مَكَّةَ[1].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[2]، الْمُـرَادُ بِالبَيْعَـةِ هُنَـا بَيْعَةُ الرِّضْـوَانِ[3]، وَهِـيَ بَيْعَـةُ الْحُدَيْبِيَةِ، وَبَيْعَةُ الشَّـجَرَةِ، لأَنَّـهم بَايَعُوا رَسُـولَ اللهِ ﷺ فِي الْحُدَيْبِيَةِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ عَلَى الْمَوْتِ[4]، فَيَا مُحَمَّدُ! ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ يَعْنِي إِنَّ مُبَايَعَتِكَ تَعْنِي مُبَايَعَةَ اللهِ؛ لِأَنَّ طَاعَتَكَ طَاعَةُ اللهِ[5].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ و﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[6] وَإِنَّمَا سُـمِّيَتِ الْبَيْعَةُ بَيْعَةً لأَنَّهَا عُقِدَتْ عَلَى بَيْعِ أَنْفُسِـهُمْ مُقَابِلَ الْجَنَّةِ لِلزُّوْمِهِمْ فِي الْحَرْبِ النُّصْرَةَ وَالدِّفَاعَ عَنِ الإِسْلامِ وَالْقِيَادَةِ الإِسْلامِيَّةِ الْمُتَمَثِّلَةِ فِي النَّبِيِّ ﷺ، فَالالْتِزَامُ بِنُصْرَةِ رَسُـولِ اللهِ ﷺ مُقَابِلُهُ الأَجْرُ العَظِيمُ[7] مِنَ اللهِ تَعَالَى، وَهُوَ الْجَنَّةُ؛ لأَنَّ نُصْرَةَ رَسُولِ اللهِ هِيَ نُصْرَةُ اللهِ وَبَيْعَةُ رَسُـولِ اللهِ هِيَ بَيْعَـةُ اللهِ لِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن

(١) مجمع البيان: ٩/ ١٣٩-١٤٠.

(٢) الفتح: ٤٨/ ١٠.

(٣) الرِّضـوان بالكسـر والرُّضـوان بالضم: الرِّضَـا والقراء كلهم كلهـم قرؤوا ﴿وَرِضْوَٰنٌ﴾ بالكسر في كلِّ القرآن إلَّا ما رُوِيَ عن أبي بكر شـعبة بن عيَّاشٍ عن عاصم ﴿رُضْوَان﴾ بالضمِّ، ولكنَّ حفصًا قرأ عن عاصم بالكسر، كسـائر القرَّاء. مجمع البيان: ٢/ ٢٦ لسان العرب، رضي: ٥/ ٢٣٦، وأصول التلاوة، ط٢: ٢٠-٢١.

(٤) الميزان: ١٨/ ٢٧٨-٢٧٩.

(٥) نفسه: ١٨/ ٢٨٠.

(٦) النساء: ٤/ ٨٠.

(٧) الميزان: ١٨/ ٢٧٨-٢٧٩.

﴿نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾، يَعْنِي قُدْرَتَهُ وَسُلْطَانُهُ فَوْقَهُم، وَعَقْدُ اللهِ فَوْقَ عَقْدِ بَيْعَتِهِم وَالأَجْرُ العَظِيْمُ هُوَ الجَنَّةُ، وَالقُرْآنُ يُفَسِّرُ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَهَذَا عَقْدُ بَيْعٍ بَيْنَ طَرَفَيْنِ، بَيْنَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يَنُوبُ عَنْهُ رَسُولُهُ، فَعَقْدُ البَيْعِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ المُؤْمِنِينَ، وَهُوَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[1]، فَهَذَا العَقْدُ مَضْمُونُ تَسْدِيدِ الثَّمَنِ مِنَ اللهِ تَعَالَى ﴿فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ﴾؛ لأَنَّ الأَجْرَ هُوَ الجَنَّةُ وَالضَّامِنُ هُوَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ وَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُغْدِقُ عَلَى عِبَادِهِ المُؤْمِنِينَ بِالأَجْرِ حَتَّى يَصِلَ إِلَى الذُّرْوَةِ، إِلَى رِضْوَانِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَيَقُولُ تَعَالَى:

﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[2]، وَتَأَكَّدَ هَذَا المَعْنَى فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[3]، فَعَقْدُ اللهِ فِي بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ فَوْقَ عَقْدِهِمْ، فَهُمْ بَايَعُوا اللهَ بِبَيْعَةِ نَبِيِّهِ فَكَأَنَّهُمْ بَايَعُوا اللهَ بِلا وَاسِطَةٍ، أَو قُوَّةُ اللهِ فِي نُصْرَةِ نَبِيِّهِ صلى الله عليه وآله وسلم لَا شَكَّ فَوقَ قُوَّتِهِم وَنُصْرَتِهِم لَهُ، أَوْ نِعْمَةُ اللهِ عَلَى نَبِيِّهِ صلى الله عليه وآله وسلم فَوْقَ نُصْرَتِهِمْ، فَثِقْ بِنُصْرَةِ اللهِ لَا بِنُصْرَتِهِمْ، وَإِنْ بَايَعُوكَ، أَوْ نِعْمَةُ اللهِ عَلَيْهِمْ بِنَبِيِّهِ صلى الله عليه وآله وسلم فَوْقَ أَيْدِيهِمْ بِالطَّاعَةِ وَالمُبَايَعَةِ، أَوْ يَدُ اللهِ أَيْ فَضْلُهُ تُعْلَى بِالثَّوَابِ وَمَا أَعَدَّ لَهُمْ وُعُدُهُمْ عُلَى بُيْعَتِهِمْ مِنَ الأَجْرِ وَالثَّوَابِ وَالجَزَاءِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ

(١) التوبة: ٩/ ١١١.
(٢) آل عمران: ٣/ ١٥.
(٣) التوبة: ٩/ ٧٢.

أَيْ فَضْلُهُم بِالبَيْعَةِ وَالصِّدْقِ وَالوَفَاءِ[1].

﴿ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ﴾[2]، فَمَنْ يَنْقُضُ مَاعَقَدَ مِنَ البَيْعَةِ، فَيَرْجِعُ ضَرَرُ نَقْضِهِ عَلَيْهِ، وَلَيْسَ لَهُ الجَنَّةُ، وَلَا كَرَامَةَ، ﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ ﴾ بِمَعْنَى أَنْ يَثْبُتَ عَلَى الوَفَاءِ، ﴿ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ ﴾ مِنَ البَيْعَةِ[3]، ﴿ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[4]، إي ثوابًا جزيلًا[5].

وَلَمَّا ذَكَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الأَنْبِيَاءَ أُولِي العَزْمِ رَتَّبَهُمْ تَرْتِيبًا زَمَنِيًا وَكَانَ المُقْتَضِي أَنْ يَضَعَ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا صلى الله عليه وآله وسلم فِي آخِرِهِم لأَنَّهُ مُتَأَخِّرٌ عَنْهُمْ جَمِيعًا زَمَنًا، وَلَكِنَّهُ قَدَّمَهُ عَلَيْهِمْ لِشَرَفِهِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾[6]، أَضَافَ المِيثَاقَ إِلَى النَّبِيِّينَ مِمَّا يَدُلُّ أَنَّهُ غَيْرُ المِيثَاقِ العَامِّ الذِي أَخَذَهُ عَلَى عَامَّةِ البَشَرِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾[7]، وَلَكِنَّ الآيَةَ السَّابِعَةَ مِنْ سُورَةِ الأَحْزَابِ ذَكَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِيهَا النَّبِيِّينَ بِلَفْظٍ عَامٍّ ثُمَّ عَطَفَ عَلَيْهِمْ خَمْسَةً مِنْهُمْ وَذَكَرَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ، وَهُمُ الرُّسُلُ أَصْحَابُ الشَّرَائِعِ أُولُو العَزْمِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ﴾ وَمَعْنَى العَطْفِ إِخْرَاجُهُمْ مِنْ بَيْنِهِمْ عليهم السلام وَتَخْصِيصُهُمْ بِالذِّكْرِ كَأَنَّهُ قِيلَ أُخِذَ المِيثَاقُ مِنْكُمْ أَيُّهَا الأَنْبِيَاءُ الخَمْسَةُ، وَمِنْ بَاقِي النَّبِيِّينَ.

(١) مجمع البيان: ٩/ ١٤٤-١٤٥.
(٢) الفتح: ٤٨/ ١٠.
(٣) الميزان: ١٨/ ٢٧٨-٢٧٩.
(٤) الفتح: ٤٨/ ١٠.
(٥) مجمع البيان: ٩/ ١٤٥ والميزان: ١٨/ ٢٧٩.
(٦) الأحزاب: ٣٣/ ٧.
(٧) الأعراف: ٧/ ١٧٢.

وَلَمْ يَخُصُّهُمْ بِالذِّكْرِ عَلَى هَذَا النَّمَطِ إلا لِعَظَمَةِ شَأْنِهِم، وَرِفْعَةِ مَكَانَتِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ أُولُو العَزْمِ وَأَصْحَابُ شَرَائِعٍ، وَكُتُبٍ، وَقَدْ رَتَّبَهُمْ تَرْتِيبًا زَمَنِيًّا: نوح ثمَّ إبراهيم ثمَّ موسى ثمَّ عيسى بن مريم عليهم السلام، وَقَدَّمَ عَلَى هَؤُلاءِ المُفَضَّلِينَ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وآله، وَهُوَ آخِرُهُمْ زَمَنًا؛ لِبَيَانِ فَضْلِهِ وَشَرَفِهِ وَتَقَدُّمِهِ عَلَى الجَمِيعِ[1].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[2]. انْتَهَتْ سُورَةُ النَّحْلِ بِذِكْرِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[3]، فَأَوْصَى اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نَبِيَّهُ صلى الله عليه وآله بِالدَّعْوَةِ إِلَى سَبِيلِهِ ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾، وَأَوْصَاهُ بِالصَّبْرِ ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾، وَفِي (الدُّرِّ المَنْثُورِ) أَخْرَجَ ابنُ المُنْذِرِ وَالطَّبَرَانِي وَابنُ مَرْدَوَيْهِ وَالبَيْهَقِي فِي (الدَّلائِلِ) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله يَوْمَ قُتِلَ الحَمْزَةُ، وَمُثِّلَ بِهِ: «**لَئِنْ ظَفَرْتُ بِقُرَيْشٍ لأُمَثِّلَنَّ بِسَبْعِيْنَ رَجُلاً مِنْهُمْ**»، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾[4]،أَيْ الصَّبْرُ أَنْفَعُ؛ لِمَا فِيهِ مِنْ جَزِيلِ الثَّوَابِ،

(١) السيرة النبويَّة لابن هشام: ٢/ ٢١٤ و٢٣٣، والكشَّاف: ٥/ ٥٢، ومجمع البيان: ٨/ ٩٤، والميزان: ١٦/ ٢٨٤-٢٨٥.

(٢) الإسراء: ١٧/ ١.

(٣) النحل: ١٦/ ١٢٥-١٢٨.

(٤) النحل: ١٦/ ١٢٦.

فَقَالَ رَسُولُ اللهﷺ: «بَلْ نَصْبِرُ يَا رَبِّ»، فَصَبَرَ وَنَهَى عَنِ الْمُثْلَةِ[1]

وَابْتَدَأَتْ سُورَةُ الإِسْرَاءِ التِي تَلَتِ (النَّحْلَ) بِذِكْرِهِﷺ أَيْضًا، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾، السُّورَةُ تَتَعَرَضُ لِتَوْحِيدِ اللهِ تَعَالَى، وَوَرَدَ فِيْهَا التَّسْبِيْحُ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ كَمَا تَقَدَّمَ، وَكَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾[2]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾[3]، وَقَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾[4]، والآيَةُ الخَاتِمَةُ لِلسُّورَةِ قَولُهُ تُعَالَى ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِي ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِيٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾[5]، حيْثُ تَنْتَهِي بِحَمْدِ اللهِ الْمُنَزَّهِ عَنِ الشَّرِيْكِ وَالوَلِيِّ وَاتِّخَاذِ الوَلَدِ[6].

وِسرى وَأَسْرَى بِمَعْنَى سَرَى لَيْلاً وَأَضَافَهُﷺ إِلَيْهِ تَعَالَى فَقَالَ ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ فَشَرَّفَهُ بِأَنْ جَعَلَهُ عَبْدًا لَهُ،فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿بِعَبْدِهِۦ﴾ هُوَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌﷺ، قَالَ أَبُو القَاسِمِ سُلَيْمَانُ الأَنْصَارِيُّ: لَمَّا وَصَلَ رَسُولُ اللهﷺ إِلَى الدَّرَجَاتِ العَالِيَةِ وَالمَرَاتِبِ الرَّفِيعَةِ فِي المَعَارِجِ أَوْحَى اللهُ: يا مُحَمَّد! بم أشرفك؟

فقال: يَا رَبِّ! بِنِسْبَتِي إِلَيْكَ بِالعُبُودِيَّةِ.

فَأَنْزَلَ تَعَالَى فِيْهِ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِي بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

وَعَنْهُﷺ قَالُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَكُلُّ مُسْلِمٍ يَقُولُ فِي تَشَهُّدِهِ وَتَسْلِيْمِهِ فِي صَلاتِهِ، وَفِي مُقَدِّمَتِهِمْ رَسُولُ اللهﷺ نفسُهُ الذِي قَالَ: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي

(١) الدر المنثور: ٩/ ١٣٥، والميزان: ١٢/ ٣٧٧.
(٢) الإسراء: ١٧/ ٤٣.
(٣) الإسراء: ١٧/ ٩٣.
(٤) الإسراء: ١٧/ ١٠٨.
(٥) الإسراء: ١٧/ ١١١.
(٦) الميزان: ١٣/ ٥.

أُصَلِّي»[1] يَقُولُ: «أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ»، وَعَنْهُ صلى الله عليه وآله: «لا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى عِيسَى ابنَ مَرْيَمَ عليه السلام فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ فَقُولُوا عبْدُهُ وَرَسُولُهُ»[2].

وَقَدِ اعْتَزَّ وَافْتَخَرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام بِعُبُوْدِيَتِهِ لله تَعَالَى. فَقَدْ نَقَلَ أَبُو الفَتْحِ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عُثْمَانَ الكَرَاجُكِي الطَّرَابُلِسِيُّ (ت ٤٤٩ هـ) بِسَنَدِهِ عَنْ أَبِي بَصِيْرٍ قَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدٌ البَاقِرُ عليهما السلام: كَانَ مِن دُعَاءِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِيْنَ عليه السلام: «إِلَهِي! كَفَى بِي عِزًّا أَنْ أَكُوْنَ لَكَ عَبْدًا، وَكَفَى بِي فَخْرًا أَنْ تَكُوْنَ لِيَ رَبًّا»[3].

وَقَدْ تَكَرَّرَ ذَلِكَ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾[4]، وَهَذِهِ إِضَافَةُ تَشْرِيْفٍ، وَاخْتِصَاصٍ، قَالَ الشَّاعِرُ:

لَا تَدْعُنِي إِلَّا بِيَا عَبْدَهَا
فَإِنَّهُ أَشْرَفُ أَسْمَائِي[5]

وَقَالَ العُلَمَاءُ: لَوْ كَانَ لِرَسُوْلِ الله صلى الله عليه وآله اسْمٌ أَشْرَفُ مِنْهُ لَسَمَّاهُ بِهِ فِي تِلْكَ الحَالِ. وَالسُّرَى لا يَكُونُ إِلا لَيْلاً وَجَاءَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿لَيْلًا﴾ ظَرْفًا مَنْصُوبًا لِتَوْكِيْدِ الإِسْرَاءِ فِي جَوْفِ اللَّيلِ[6]، وَجَاءَ ﴿لَيْلًا﴾ نَكِرَةً تَقْلِيْلاً لِمُدَّةِ الإِسْرَاءِ، فَأَسْرَى بِهِ فِي بَعْضِ اللَّيْلِ، ﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾، مِنْ مَكَّةَ إِلَى الشَّامِ، وَهِيَ مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً[7].

(١) فتح الباري كتاب مواقيت الصلاة: ٨٧، وصحيح مسلم شرح النوويّ، كتاب الصلاة، رفع اليدين عند تكبيرة الإحرام: ٧٤، والبحر المحيط: ٦/ ٦.

(٢) مسند أحمد، «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم»: الحديث ١٦٥، والبحر المحيط: ٦/ ٦.

(٣) كنز الفوائد، ط١: ١/ ١٨١، وبحار الأنوار: ٢/ ١٩ و٨٨.

(٤) البقرة: ٢/ ٢٣.

(٥) البحر المحيط: ٦/ ٦ البيت بلا عزو.

(٦) البحر المحيط: ٦/ ٦.

(٧) الكشّاف: ٣/ ٤٩١.

وَمِنْـهُ أَخَذَ أَمِيْرُ الْمُؤْمِنِـينَ عَلِيّ بنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام هَذَا الْمَعْنَى، فَعَنْ عَامِرٍ الشَّـعْبِي[1] (ت١٠٣هـ.) قـال: تَكَلَّمَ أَمِـيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام بِتِسْـعِ كَلِـمَاتٍ ارْتَجَلَهُنَّ ارْتِجَـالًا، فَقَأْنَ عُيُونَ البَلاغَةِ، وَأَيَتَمْنَ جَوَاهِـرَ الحِكْمَةِ، وَقَطَعْنَ جَمِيْعَ الأَنَامِ عَنِ اللحَاقِ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُـنَّ، ثَلاثٌ مِنْهَا فِي الْمُنَاجَاةِ، وَثَلاثٌ مِنْهَا فِي الحِكْمَةِ، وَثَلاثٌ مِنْهَا فِي الأَدَبِ، فَأَمَّـا اللاتِي فِي الْمُنَاجَاةِ فَقَوْلُهُ عليه السلام: «إِلَهِي كَفَانِيَ عِـزًّا أَنْ أَكُونَ لَكَ عَبْدًا، وَكَفَانِيَ فَخْرًا أَنْ تَكُونَ لِيَ رَبًّا، فَأَنْتَ كَمَا أُحِبُّ فَوَفِّقْنِي لِمَا تُحِبُّ»[2]

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾[3]، بِمَعْنَـى شَـغَلَكُمُ وَ﴿أَلْهَىٰكُمُ﴾ عَـنْ طَاعَةِ اللهِ التِي خُلِقْتُمْ مِنْ أَجْلِهَا وَنَسِـيْتُمْ قَوْلَهُ تَعَالَى ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[4] فَأَنْسَاكُمْ طَاعَتَهُ، وَذِكْرَ الآخِرَةِ ﴿ٱلتَّكَاثُرُ﴾ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ، وَالتَّفَاخُرِ بِهِمَا، فَأَوْعَدَهُمْ عَلَى هَذَا التَّكَاثُرِ، وَكَرَّرَ الوَعِيدَ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، فَهُوَ وَعِيدٌ بَعْدَ وَعِيدٍ، أَيْ سَوْفَ تَعْلَمُونَ عَاقِبَةَ تَبَاهِيْكُمْ وَتَفَاخُرِكُمْ، إِذَا نَزَلَ بِكُمُ الْمَوْتُ، أَوْ فِي القَبْرِ، أَوْ بَعْدَ البَعْثِ، أَوْ فِي الحَشْرِ، أَوْ فِيْهَا كُلِّهَا، أَوْ إِذَا رَأَيْتُمْ دَارَ الأَبْرَارِ، وَدَارَ الفُجَّارِ ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ﴾، وَاللامُ فِي ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ﴾ هِيَ الْمُوطِئَةُ لِلْقَسَمِ، فَالآيَةُ عَلَى نِيَّةِ القَسَمِ، أَيْ لَتَرَوُنَّهَا بِالْمُشَاهَدَةِ إِذَا دَخَلْتُمْ فِيْهَا، ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾، وَفِي النَّعِيْمِ الذِي يُسْأَلُونَ عَنْهُ أَقْوَالٌ، وَنُرَجِّحُ، جَوَابَ الإِمَامِ جَعْفَرِ بنِ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ عليه السلام عَنْهُ، لَـمَّا سَـأَلَهُ أَبُو حَنِيْفَةَ عَنْ هَذِهِ

(١) نُقِلَتْ في معدِن الجواهر: ٦٧ عن مَعْمَر بن المثنى (ت٢١٠هـ).
(٢) الخصال للشيخ الصدوق: ٢ / ٤٢٠، ومعدن الجواهر للكراجكيّ: ٦٧.
(٣) التكاثر: ١٠٢/ ١-٨.
(٤) الذاريات: ٥٦.

الآيَةِ، فَقَالَ عليه السلام لَهُ: مَا النَّعِيْمُ عِنْدَكَ يَا نُعْمَانُ؟

قَالَ: القُوتُ مِنَ الطَّعَامِ وَالمَاءِ البَارِدِ.

فَقَالَ عليه السلام: لَئِنْ أَوْقَفَكَ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ حَتَّى يَسْأَلَكَ عَنْ كُلِّ أَكْلَةٍ أَكَلْتَهَا، وَشِرْبَةٍ شَرِبْتَهَا، لَيَطُوْلَنَّ وُقُوْفُكَ بَيْنَ يَدَيهِ.

فقالَ: فَمَا النَّعِيْمُ جُعِلْتُ فِدَاكَ؟

فَقَالَ عليه السلام: نَحْنُ أَهْلَ البَيْتِ، النَّعِيْمُ الذِي أَنْعَمَ اللهُ بِنَا عَلَى العِبَادِ، وَبِنَا ائْتَلَفُوا بَعْدَ أَنْ كَانُوا مُخْتَلِفِيْنَ، وَبِنَا أَلَّفَ اللهُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ، وَجَعَلَهُمْ إِخوانًا بَعْدَ أَنْ كَانُوا أَعْدَاءً، وَبِنَا هَدَاهُمُ اللهُ لِلإِسْلامِ، وَهِيَ النِّعْمَةُ التِي لا تَنْقَطِعُ، وَاللهُ سَائِلُهُمْ عَنِ النَّعِيْمِ الذِي هُوَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله، وَعِتْرَتُهُ[1].

وَقَالَ تَعَالى: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾[2]، ﴿ لَغَفَّارٌ ﴾ لَفَعَّالٌ صِيْغَةُ مُبَالَغَةٍ مِن اسْمِ الفَاعِلِ (غَافِر) مِنَ المَغْفِرَةِ أَيْ كَثِيْرُ المَغْفِرَةِ وَدَائِمُ المَغْفِرَةِ وَجَاءَ مُؤَكَّدًا ﴿ لِّمَن تَابَ ﴾ مِنَ الشِّرْكِ بِاللهِ، ﴿ وَءَامَنَ ﴾ بِهِ وَبِرَسُوْلِهِ ﴿ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ أَيْ أَدَّى الفَرَائِضَ[3] ﴿ ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾، هَذَا العَبْدُ الذِي ﴿ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ مَاذَا بَقِيَ عَلَيْهِ؟ مَا المَطْلُوْبُ مِنْهُ؟

قَالُوا ﴿ ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾ لِالتِزَمِ بِالإِيْمَانِ إِلَى أَنْ يَمُوْتَ، وَلَمْ يَشُكَّ فِي إِيْمَانِهِ، وَتَمَسَّكَ بِسُنَّةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله، كُلُّ هَذَا صَحِيْحٌ، وَمُهِمٌّ، وَهِيَ أَقْوَالُ بَعْضِ العُلَمَاءِ[4] وَلَكِنَّهُ دَاخِلٌ تَحْتَ عُنْوَانِ ﴿ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾، يَبْدُو هُنَاكَ أَمْرٌ هُوَ الأَهَمُّ نَجِدُهُ عِنْدَ العِتْرَةِ التِي أَوْصَى النَّبِيُّ بِالتَّمَسُّكِ بِهَا فِي قَوْلِهِ صلى الله عليه وآله: «إِنِّي تَارِكٌ فِيْكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي؛ كِتَابَ اللهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ، وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي، وَ لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا

(١) مجمع البيان: ٣٣١-٣٣.

(٢) طه: ٢٠ / ٨٢.

(٣) مجمع البيان: ٧/ ٣٤.

(٤) نفسه.

عَـلِيَّ الحَـوْضَ، فَانْظُرُوا كَيْفَ تُخْلِفُونِي فِيهِمَا»، ذَكَرَهُ التِّرْمِذِي فِي سُـنَنِهِ وَالْمُتَّقِي الهِنْدِيُّ فِي كَنْزِ العُمَّالِ وَالحَاكِمُ فِي الْمُسْـتَدْرَكِ وَقَالَ الحَاكِمُ: هَذَا حَدِيْثٌ صَحِيْحُ الأَسْـنَادِ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ[1].

قَدَّمَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ ﷺ جَهْدًا مُتَمَيِّزًا، فِي سَبِيْلِ الإِسْلَامِ، حَتَّى كُسِرَتْ رُبَاعِيَّتُهُ وَشُجَّ جَبِيْنُهُ الشَّرِيْفُ وَجُحِشَـتْ رُكْبَتَاهُ، وَمَا انْقَطَعَ عَنْ تَوْجِيْهِ النَّاسِ وَتَعْلِيْمِهِم وَالدَّعْوَةِ إِلَى الإِسْلَامِ، فَجَاءَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ بِأَمْوَالٍ وَطَلَبُوا مِنْهُ قَبُوْلَهَا، فَعَلَّمَهُ اللهُ أَنْ يَقُوْلَ لَهُم: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[2].

رَوَى الجُمْهُـورُ كَـمَا فِي الصَّحِيْحَـيْنِ وَأَحْمَدُ بـنُ حَنْبَل (ت ٢٤١ هـ) فِي مُسْـنَدِهِ وَفِي فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ وَالثَّعْلَبِيُّ فِي تَفْسِـيْرِهِ وَغَيْرِهَـا مِنَ المَصَادِرِ عَنْ ابنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ قَالَ الصَّحَابَةُ الأَبْرَارُ: يا رَسُـوْلَ اللهِ! مَنْ قَرَابَتُكَ الذِيْنَ وَجَبَتْ عَلَيْنَا مَوَدَّتُهُمْ؟

قَالَ: «عَلِيٌّ وفَاطِمَةُ وَابْنَاهُمَا»[3].

وَهَذَا ابنُ الأَثِيْرِ (ت ٦٣٠ هـ) يَرْوِي فِي كِتَابِهِ أُسْـدِ الغَابَةِ بِسَـنَدِهِ عَنْ حَبِيْبِ بْنِ أَبِي ثَابِـتٍ، يَقُولُ: كُنْتُ أُجَالِسُ أَشْـيَاخَنَا، إِذْ مَـرّ عَلَيْنَا عَلِيُّ بنُ الحُسَـيْنِ عليهما السلام؛ وَقَدْ كَانَ بَيْنَهُ

(١) سنن الترمذيّ: ٥/ ٣٢٨: ح: ٣٨٧٦، وكنز العمَّال: ١/ ١٧٣: ح: ٨٧٣ والمستدرك ٤/ ١٢٩: ح: ٤٧٦٥.

(٢) الشورى: ٤٢/ ٢٣.

(٣) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل: ٢/ ٨٣٢-٨٣٣: ح: ١١٤١، والمعجم الكبير: ٣/ ٤٧: ح: ٢٦٤١ و١١/ ٣٥١: ح: ١٢٢٥٩ والكشف والبيان المعروف بتفسير الثعلبيّ: ٨/ ٣١٠ ومناقب عليّ بن أبي طالب عليه السلام لابن المغازليّ: ٢٥٨-٢٥٩، وشـواهد التنزيل: ٢/ ١٣٠ ١٣٤: ح: ٨٢٢ ٨٢٨، والكشَّـاف: ٥/ ٤٠٤، وتفسـير الرازي: ٧/ ١٦٧، والجامع لأحـكام القرآن: ١٦/ ١٦، وتفسـير القرآن العظيم: ٤/ ١١٤-١١٥، والدر المنثور: ٧/ ٣٤٨، وفرائد السمطين: ٢/ ١٣: = =ح: ٣٥٩ ومجمع الزوائد: ٩/ ١٦٨، ودلائل الصدق: ٤/ ٣٨١-٣٩٢.

وَبَيْنَ أُنَاسٍ مِنْ قُرَيْش مُنَازَعَةٌ، فَقَالَ جَمَاعَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ: أَلا دَعَوْتَنَا أَمْسِ، لِمَا كَانَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ بَنِي فُلانٍ؟ إِنَّ أَشْيَاخَنَا حَدَّثُوْنَا أَنَّهُمْ أَتَوْا رَسُوْلَ اللهِ صلى الله عليه وآله فَقَالُوا: يَا رَسُوْلَ اللهِ! أَلا نَخْرُجُ لَكَ مِنْ دِيَارِنَا، وَمِنْ أَمْوَالِنَا، لِمَا أَعْطَانَا اللهُ بِكَ، وَفَضَلَنَا بِكَ، وَأَكْرَمَنَا بِكَ؟ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾، وَنَحْنُ نُدِلُّ[1] عَلَى النَّاسِ. قَالَ: أَخْرَجَهُ ابنُ مَنْدَه[2].

وَذَكَرَ ذَلِكَ الحَاكِمُ[3] (ت ٤٠٥هـ) وَالمُحِبُّ الطَّبَرِيُّ[4]، وَابْنُ حَجَرٍ الهَيْثَمِيُّ[5] (ت ٩٧٤هـ).

وَرَوَى أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ (ت ٢٤١هـ) فِي كِتَابِهِ (فَضَائِلُ الصَّحَابَةِ) بِسَنَدِهِ عَنِ الأَعْمَشِ عَنْ سَعِيْدِ بنِ جُبَيْرٍ (ت ٩٥هـ) عَنْ ابنِ عَبَّاسٍ (ت ٦٨هـ) قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾، قَالُوْا: يَا رَسُوْلَ اللهِ، مَنْ قَرَابَتُكَ هَؤُلاءِ الذِيْنَ وَجَبَتْ عَلَيْنَا مَوَدَّتُهُمْ؟

قَالَ: «عَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَابْنَاهُمَا، (عليهم السلام)»[6].

وَذَكَرَ ذَلِكَ عَلِيُّ بنُ أَبِي بَكْرٍ الهَيْثَمِي (ت ٨٠٧هـ) فِي مَجْمَعِ زَوَائِدِهِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنُ السُّيُوطِي (ت ٩١١هـ) فِي تَفْسِيْرِهِ[7].

وَرَوَى ابنُ كَثِيرٍ (ت ٧٠١هـ) بِسَنَدِهِ عَنْ قَيْسٍ عَنِ الأَعْمَشِ (ت ١٤٨هـ) عَنْ سَعِيْدِ

(١) أَدَلَّ عَلَيْهِ وَتَدَلَّلَ: انْبَسَطَ، والاسمُ: الدَّالةُ، وفي الحديث: يمشي على الصراط مُدِلًّا، أي: مُنبسطًا لاخوفٌ عليه، مِنَ الإِدْلال والدَّالة. لسان العرب، دلل: ٤/ ٣٩٣.

(٢) أسد الغابة: ٥/ ٣٦٧.

(٣) المستدرك: ٣/ ١٧٢.

(٤) ذخائر العقبى: ١٣٨.

(٥) الضواعق المحرقة: ٢٥٩، مجمع الزوائد: ٩ / ١٤٦، والإمامة وأهل البيت: ٢/ ٤٢٩.

(٦) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل: ٢/ ٦٦٩.

(٧) مجمع الزوائد: ٩/ ١٦٨، والدر المنثور: ٦/ ٧.

ابنِ جُبَيْرٍ (ت ٩٥هـ) عَنْ ابنِ عَبَّاسٍ (ت ٦٨هـ)، قَالَ: لَـمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾، قَـالَ الصَحَابَـةُ الْمُنْتَجَبُونَ ﷺ: يَا رَسُـولَ اللهَ! مَنْ هَؤُلاءِ الذِيْنَ أَمَرَ اللهُ بِمَوَدَّتِهِمْ؟

قَالَ ﷺ: «عَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَوَلَدَاهُمَا (عليهم السلام)»[١].

وَرَوَى مُحِـبُّ الدِّينِ الطَّـبَرِيُّ (ت ٦٩٤هـ) فِي ذَخَائِرِ العُقْبى بِسَـنَدِهِ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ (ت٦٨هـ.) (رِضْـوَانُ اللهِ عَلَيْـهِ) قَالَ: قَالَ اللهُ تَعَـالَى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾، قَالُوْا: يَا رَسُولَ اللهِ! مَنْ قَرَابَتُكَ هَؤُلاءِ الذِيْنَ وَجَبَتْ عَلَيْنَا مَوَدَّتُهُمْ؟

قَالَ ﷺ: «عَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَابْنَاهُمَا»[٢].

وَأَخْرَجَـهُ أَحْمَـدُ فِي المَنَاقِبِ وَذَكَـرَهُ الهَيْثَمِي فِي مَجْمَعِهِ فِي مَوْضِعَـيْنِ، وَرَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ (٢٦٠-٣٦٠هـ) وَابْـنُ حَجَـرٍ فِي الصَّوَاعِقِ، وَابْـنُ أَبِي حَاتِمٍ وَالحَاكِمُ النَّيْسَـابُوْرِيُّ عَنِ ابْـنِ عَبَّاسٍ (ت ٦٨هـ)، وَذَكَرَهُ الشِّـبْلَنْجِيُّ فِي نُورِ الأَبْصَارِ، نَقْلاً عَنِ البَغَوِي الشَّـافِعِيَّ (ت ٥١٦هـ) فِي تَفْسِيْرِهِ[٣].

وَرَوَى ابْـنُ حَجَـرٍ فِي صَوَاعِقِهِ: أَخْـرَجَ أَحْمَدُ وَالطَّـبَرَانِيُّ وَابْنُ أَبِي حَاتِـمٍ وَالحَاكِمُ (النَّيْسَـابُورِيُّ) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ لَـمَّا نَزَلَتْ قَالُوْا: يَا رَسُـولَ اللهِ! مَنْ قَرَابَتُكَ هَؤُلاءِ الذِينَ وَجَبَتْ عَلَيْنَا مَوَدَّتُهُمْ؟

قَالَ ﷺ: «عَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَابْنَاهُمَا»[٤].

وَقَالَ الطَّبَرَيُّ بِسَـنَدِهِ عَنْ أَبِي الدَّيْلَمِ: لَـمَّا جِيْئَ بِعَلِيِّ بنِ الحُسَـيْنِ عليهما السلام أَسِـيْرًا، فَأُقِيْمَ عَلَى مَدْرَجِ دِمَشْقَ، قَامَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، فَقَالَ: الحَمْدُ للهِ الذِي قَتَلَكُمْ، وَاسْتَأْصَلَكُمْ،

(١) تفسير القرآن العظيم: ٤ / ١٦٩-١٧٠،، والإمامة وأهل البيت: ٢/ ٤٣٢.
(٢) ذخائر العقبى: ٢٥.
(٣) مجمع الزوائد: ٧/ ١٠٣، ٩/ ١٦٨، والصواعق المحرقة: ٢٥٨، ونور الأبصار: ١١٢.
(٤) الصواعق المحرقة: ٢٥٨-٢٥٩.

وَقطَعَ قَرْنَي الفِتْنَةِ.

فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بنُ الحُسَيْنِ زَيْنُ العَابِدِيْنَ عليه السلام: «أَقَرَأْتَ القُرْآنَ؟».

قَالَ: نَعَمْ.

قال عليه السلام: «أَقَرَأْتَ آل حَم؟».

قَالَ: قَرَأْتُ القُرْآنَ، وَلَمْ أَقْرَأْ آل حَم؟!

قَالَ عليه السلام: «أَمَا قَرَأْتَ ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾؟».

قَالَ: وَإِنَّكُمْ لأَنْتُمُ هُمْ؟

قال عليه السلام: «نَعَمْ»(١).

وَنَقَلَ ذَلِكَ السّيُوْطِيُّ(٢) عَنِ الطَّبَرِيِّ.

وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ (٢٦٠-٣٦٠هـ.) عَنِ الإِمَامِ عَلِيِّ زَيْنِ العَابِدِيْنَ عليه السلام، أَنَّهُ لَمَّا جِيْءَ بِهِ أَسِيْرًا، عَقِبَ اسْتِشْهَادِ أَبِيْهِ الإِمَامِ الحُسَيْنِ عليه السلام، وَأُقِيْمَ عَلى مَدْرَجِ دِمَشْقَ، قَالَ بَعْضَ جُفَاةِ أَهْلِ الشَّامِ: الحَمْدُ للهِ الذِي قَتَلَكُمْ وَاسْتَأْصَلَكُمْ، وَقَطَعَ قَرْنَ الفِتْنَةِ.

فَقَالَ عليه السلام لهُ: «أَمَا قَرَأْتَ ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾؟».

قَالَ: وَأَنْتُمْ هُمْ؟

قَالَ عليه السلام: «نَعَمْ»(٣).

وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ عَنْ ابنِ عَبَّاسٍ (ت ٦٨هـ) فِي ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾(٤)، قَالَ: المَوَدَّةُ لآلِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله.

(١) تفسير الطبريّ: ٢٥ / ١٦.

(٢) الدرُّ المنثور: ٧/ ٣٤٨، ودلائل الصدق: ٥/ ٣٨٤.

(٣) الصواعق المحرقة: ٢٥٨-٢٥٩.

(٤) الشورى: ٤٢/ ٢٣.

وَنَقَلَ الثَّعلبي (ت٤٢٧هـ.) والبغويّ عن ابن عبَّاس: أَنَّهُ لَـمَّا نَزَلَ قَولُ الله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾، قَالَ قَوْمٌ فِي نُفُوسِهِم: مَا يُرِيْدُ إِلَّا أَنْ يُحَثَّنَا عَلَى قَرابَتِهِ مِنْ بَعْدِهِ، فَأَخْبَرَ جِبْرِيْلُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم، أَنَّهُم اتَّهَمُوْهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾[1]، فَقَالَ القَوْمُ: يَا رَسُـوْلَ اللهِ! إِنَّكَ لَصَادِقٌ، فَنَزَلَ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ﴾[2].

وَإِلَى حُبِّ أَهْلِ البَيْتِ عليهم السلام أَشَـارَ القَاضِي الشَّيْخُ شَمْسُ الدِّين أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ المَعْرُوْفُ بِابْنِ العَرَبِيِّ المَالِكِيّ (ت ٥٤٣هـ) بِقَوْلِهِ[3]:

رَأَيـــتُ وَلائِـــي آلَ طَـه فَرِيضَةً
عَلَى رَغْمِ أَهْلِ البُعْدِ يُوْرِثُنِي القُرْبَا
فَمَا طَلَبَ المَبْعُوثُ أَجْرًا عَلَى الهُدَى
بِتَبْلِيغِهِ إِلَّا المَـوَدَّةَ فِي القُرْبَى

وَرَوَى أَبُو نُعَيم فِي الحِلْيَةِ بِسَنَدِهِ عَنْ الإِمَام جَعْفَرٍ الصَّادِقِ عليه السلام عَنْ أَبِيْهِ الإِمَام مُحَمَّدِ البَاقِرِ عليهما السلام عَـنْ جَابِرٍ: قَالَ: جَـاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِـيِّ صلى الله عليه وآله وسلم، فَقَالَ: يَا مُحَمَّـدُ! أَعْرِضْ عَلَيَّ الإِسْلَامَ.

فَقَالَ عليه السلام: «تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عبدُهُ وَرَسُولُهُ».

قال: أتسألني عليه أجراً؟

قال: «لا. إِلَّا المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى».

قال: قُرْبايَ أَو قُرْبَاكَ؟

(١) الشورى: ٤٢/ ٢٤.

(٢) الشورى: ٤٢/ ٢٥.

(٣) الصواعق المحرقة: ٢٥٨، وينابيع المودَّة: ٣/ ٤٨-٤٩، و٦٤، والإمامة وأهل البيت: ٢/ ٤٣١.

قال: «قرباي».

قَالَ: هَاتِ أُبَايِعُكَ، فَعَلَى مَنْ لَا يُحِبُّكَ، وَلَا يُحِبُّ قَرَبَاكَ، لَعْنَةُ اللهِ.

قَالَ صلى الله عليه وآله وسلم: «آمِيْن»[1].

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ عَنْ أَبِيْهِ عَنْ جَدِّهِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ (رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِ)، قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «أَحِبُّوا اللهَ تَعَالَى لِمَا يَغْذُوْكُمْ مِنْ نِعَمِهِ، وَأَحِبُّوْنِي بِحُبِّ اللهِ، وأحبُّوا أَهْلَ بَيْتِي بِحُبِّي»[2].

وَرَوَى القُرْطُبِيُّ (ت ٦٧١ هـ) بِسَنَدِهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: لَمَّا أَنْزَلَ اللهُ عزّ وجلّ: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾، قَالُوا: يَا رَسُوْلَ اللهِ! مَنْ هَؤُلَاءِ الذِيْنَ نَوَدُّهُم؟

قَالَ صلى الله عليه وآله وسلم: «عَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَأَبْنَاؤُهُمَا».

وَعَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم أَنَّهُ قَالَ: «حُرِّمَتِ الجَنَّةُ عَلَى مَنْ ظَلَمَ أَهْلَ بَيْتِي، وَآذَانِي فِي عِتْرَتِي، وَمَنْ صَنَعَ صَنِيْعًا إِلَى أَحَدٍ مِنْ وُلْدِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، وَلَمْ يُجَازِهِ عَلَيْهِ، فَأَنَا أُجَازِيْهِ عَلَيْهِ غَدًا، إِذَا لَقِيَنِي يَوْمَ القِيَامَةِ».

وَذَكَرَ هَذَا الزَّمَخْشَرِي (ت ٥٣٨ هـ) فِي تَفْسِيْرِهِ، فَقَالَ:

«مَنْ ماتَ عَلَى حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ مَاتَ شَهِيْدًا، أَلَا وَمَنْ مَاتَ عَلَى حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ مَاتَ مُؤْمِنًا مُسْتَكْمِلَ الإِيْمَانِ، أَلَا وَمَنْ مَاتَ عَلَى حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ بَشَّرَهُ مَلَكُ المَوْتِ بِالجَنَّةِ، ثُمَّ مُنْكَرٌ وَنَكِيْرٌ، أَلَا وَمَنْ مَاتَ عَلَى حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ، فُتِحَ لَهُ فِي قَبْرِهِ بَابَانِ إِلَى الجَنَّةِ، أَلَا وَمَنْ مَاتَ عَلَى حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ، جَعَلَ اللهُ قَبْرَهُ مَزَارَ مَلَائِكَةِ الرَّحْمَةِ، أَلَا وَمَنْ مَاتَ عَلَى حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ مَاتَ عَلَى السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ، أَلَا وَمَنْ مَاتَ عَلَى بُغْضِ آلِ مُحَمَّدٍ، جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ مَكْتُوْبًا بَيْنَ عَيْنَيْهِ: آيِسٌ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، أَلَا وَمَنْ مَاتَ عَلَى بُغْضِ آلِ مُحَمَّدٍ مَاتَ كَافِرًا، أَلَا

(١) حلية الأولياء: ٣/ ٢٠١، والإمامة واهل البيت: ٢/ ٤٣٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم: ٤/ ١٧١-١٧٢، تحفة الأحوذيّ ١٠ / ٢٩٢، وفضل أهل البيت وحقوقهم لابن تيمية: ٤٤.

وَمَنْ مَاتَ علي بُغضِ آلِ مُحَمَّدٍ، لَمْ يَشُمْ[1] رَائِحَةَ الجَنّةَ[2].

وَفِي رِوَايَةٍ قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: «مَنْ مَاتَ عَلَى حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ مَاتَ شَهِيْدًا، أَلَا وَمَنْ مَاتَ عَلَى حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ مَاتَ مَغْفُوْرًا لَهُ، أَلَا وَمَنْ مَاتَ عَلَى حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ مَاتَ تَائِبًا، أَلَا وَمَنْ مَاتَ عَلَى حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ مَاتَ مُؤْمِنًا مُسْتَكْمِلَ الإِيْمَانِ، أَلَا وَمَنْ ماتَ عَلَى حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ، بَشَّرَهُ مَلَكُ المَوْتِ بِالجَنَّةِ، ثُمَّ مُنْكَرٌ وَنَكِيْرٌ، أَلَا وَمَنْ مَاتَ عَلَى حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ يُزَفُّ إِلَى الجَنَّةِ، كَمَا تُزَفُّ العَرُوْسُ إِلَى بَيْتِ زَوْجِهَا، أَلَا وَمَنْ مَاتَ عَلَى حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ فُتِحَ فِي قَبْرِهِ بَابَانِ إِلَى الجَنَّةِ، أَلَا وَمَنْ مَاتَ عَلَى حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ، جَعَلَ اللهُ قَبْرَهُ مَزَارَ مَلَائِكَةِ الرَّحْمَةِ، أَلَا وَمَنْ مَاتَ عَلَى حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ مَاتَ عَلَى السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ، أَلَا وَمَنْ مَاتَ عَلَى بُغْضِ آلِ مُحَمَّدٍ جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ، مَكْتُوْبًا بَيْنَ عَيْنَيْهِ: آيِسٌ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، أَلَا وَمَنْ مَاتَ عَلَى بُغْضِ آلِ مُحَمَّدٍ مَاتَ كَافِرًا، أَلَا وَمَنْ مَاتَ عَلَى بُغْضِ آلِ مُحَمَّدٍ، لَمْ يَشُمْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ»[3].

وَيُؤَكِّدُ الزَّمَخْشَرِيّ (ت ٥٣٨هـ.) فِي تَفْسِيْرِ قَوْلِهُ تَعَالَى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾، قَالَ: رُوِيَ أَنَّهَا لَمَّا نَزَلَتْ قِيْلَ: يَا رَسُوْلَ اللهِ! مَنْ قَرَابَتُكَ هَؤُلَاءِ الذِيْنَ وَجَبَتْ عَلَيْنَا مَوَدتهم؟

قال ﷺ: «عَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَأَبْنَاؤُهُمَا»[4].

وَقَالَ الفَخْرُ الرَّازِي (ت ٦٠٦هـ) فِي تَفْسِيْرِهِ الكَبِيْرِ، بَعْدَ أَنْ نَقَل الرِّوَايَةَ الْمُتَقَدِّمَةَ عَنْ صَاحِبِ الكَشَّافِ: «فَثَبَتَ أَنَّ هَؤُلَاءِ الأَرْبَعَةَ (عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَالحَسَنَ وَالحُسَيْنَ) أَقَارِبُ

(١) شَمِمته بالكسر أَشَمُّهُ بالفتح، وشَمَمْتُه أَشُمُّهُ بالضَّمِّ شماً تحسسته بحاسة الأنف. مختارات القاموس: ٣٣٩.

(٢) الكشَّاف، مكتبة العبيكان: ٥/ ٤٠٤ وتفسير القرآن العظيم: ٥٨٤١-٥٨٤٣، وينابيع المودَّة: ١/ ٢١ و٢/ ١٨ و٨٨ والصواعق المحرقة: ٢٣٢، وفرائد السمطين: ٢/ ٢٥٦، والإمامة وأهل البيت: ٢/ ٤٣٢-٤٣٣.

(٣) الكشَّاف، نشرة مكتبة العبيكان: ٥/ ٤٠٥-٤٠٦.

(٤) نفسه: ٥ / ٥٠٤.

النَبِـيِّ صلى الله عليه وآله!!، وَإِذَا ثَبَـتَ هَذَا، وَجَـبَ أَنْ يَكُوْنُوا مَخْصُوْصِـيْنَ بِمَزِيْـدِ التَّعْظِيْمِ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ- يَعْنِي اخْتِصَاصَهُم بِمَزِيْدِ التَّعْظِيْمِ- وُجُوْهٌ:

الأَوَّلُ: قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿ إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾، وَوَجْهُ الاسْـتِدْلَالِ بِـهِ، أَنَّ آلَ مُحَمَّدٍ هُـمْ الذِيْنَ يَؤُوْلُ أَمْرُهُـمُ إِلَيْهِ صلى الله عليه وآله، فَكُلُّ مَـنْ كَانَ أَمْرُهُم إِلَيْهِ أَشَـدَّ وَأَكْمَلَ، كَانُوا هُم آلَـهُ، وَلَا شَـكَّ فِي أَنَّ فَاطِمَـةَ وَعَلِيًّـا وَالحَسَـنَ وَالحُسَـيْنَ عليهم السلام، كَانَ التَّعَلُّـقُ بَيْنَهُم وَبَيْنَ رَسُـوْلِ اللهِ صلى الله عليه وآله، أَشَـدَّ التَّعَلُّقَاتِ، وَهَذَا كَالمَعْلُـوْمِ بِالنَّقْلِ المُتَوَاتِرِ، فَوَجَـبَ أَنْ يَكُوْنُوا هُمُ الآل.

وَالثَّانِي: لَا شَـكَّ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله، كَانَ يُحِبُّ فَاطِمَـةَ عليها السلام، قَالَ صلى الله عليه وآله: «**فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي، يُؤْذِيْنِي مَا يُؤْذِيْهَا**»، وَثَبَتَ بِالنَّقْلِ المُتَوَاتِرِ عَنْ سَـيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، أَنَّهُ كَانَ يُحِبُّ عَلِيًّا وَالحَسَنَ وَالحُسَيْنَ عليهم السلام، وَإِذَا ثَبَتَ ذَلِكَ، وَجَبَ حُبُّهُمْ عَلَى كُلِّ الأُمَّةِ مِثْلَهُ[1]، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[2]، ولقولـه تعـالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[3]، ولقولـه تعـالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[4]، ولقوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[5].

والثالث: إِنَّ الدُّعَاءَ لِلآلِ مَنْصِبٌ عَظِيْمٌ، وَلِذَلِكَ جَعَلَ هَذَا الدُّعَاءَ خَاتِمَةَ التَّشَهُدِ فِي الصَّلَاةِ، وَهُوَ قَوْلُهُ صلى الله عليه وآله: «**اللهُمَّ! صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَارْحَمْ مُحَمَّدًا وَآلَ مُحَمَّدٍ**»، وَهَـذَا التَّعْظِيْـمُ لَمْ يُوْجَدْ فِي غَيْرِ حَقِّ الآلِ، فَكُلُّ ذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ حُبَّ آلِ مُحَمَّدٍ وَاجِبٌ،

(١) تفسير الرازي: ٢٧/ ١٦٧.
(٢) الأعراف: ٧/ ١٥٨.
(٣) النور: ٢٤/ ٦٣.
(٤) آل عمران: ٣/ ٣١.
(٥) الأحزاب: ٣٣/ ٢١.

قال الشافعي (ت ٢٠٤هـ)[١]:

يا راكبًا قفْ بالمُحَصِّبِ من مِنًى
واهتفْ بساكنِ خيفِها والنَّاهِضِ
سَحَرًا إذا فاضَ الحجيجُ إلى منًى
فيضًا كملتَطَمِ الفراتِ الفائضِ
إنْ كانَ رَفْضًا حُبُّ آلِ محمدٍ
فَليشهدِ الثَّقلانِ أنِّي رافضي

مَا كَانَ الْمُفَسِّرُ الكَبِيْرُ الشَّيْخُ الرَّازِي بِحَاجَةٍ إِلَى مَا أَوْرَدَهُ الزَّمَخْشَرِي عَنْ رَسُوْلِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم بِحَقِّ القُرْبَى، لِيَتَأَكَّدَ مِنْ أَنَّهُم ذَوُو قُرْبَاهُ فَإِنَّ فَاطِمَةَ عليها السلام ابْنَتُهُ، وَالحَسَن وَالحُسَين عليهما السلام وَلَدَاهَا، وَأَبُوهُمَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام ابْنُ عَمِّهِ كَافِلِهِ وَالْمُحَامِي عَنْهُ، الْمُتَفَانِي فِي الدِّفَاعِ عَنْهُ، وَلَيْسَ هَذَا فَحَسْب، بَلْ لِخُصُوْصِيَّتِهِم مِنَ اللهِ تَعَالَى وَالنَّصِّ عَلَيْهِم فِي أَكْثَرِ مِنْ مَقَامٍ فَهُم مِنْ مَصَادِيْقِ آيَةِ التَّطْهِيْرِ وَآيَةِ الْمُبَاهَلَةِ وَآيَةِ الْمَوَدَّةِ، وَسُوْرَةِ الدَّهْرِ، وَحَدِيْثِ الثَّقَلَيْنِ، وَقَولِ رَسُوْلِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم لَهُمْ: «**أَنَا حَرْبٌ لِمَنْ حَارَبْتُم وَسِلْمٌ لِمَنْ سَالَمْتُم**»، وَقَالَ صلى الله عليه وآله وسلم لِعَلِيٍّ: «**أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُوْنَ مِنْ مُوْسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي**»، وَ«**فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي يُؤْذِيْنِي مَا يُؤْذِيْهَا**»، وَ«**يَرْضَى اللهُ لِرِضَاهَا وَيَغْضَبُ لِغَضَبِهَا**»، وَ«**الحَسَنُ وَالحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الجَنَّةِ وَأَبُوْهُمَا خَيْرٌ مِنْهُمَا**»، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ النُّصُوْصِ الكَثِيْرَةِ[٢].

وَرَوَى السُّيُوطِي (ت٩١١هـ.) فِي تَفْسِيْرِهِ (الدُّرُّ المَنْثُوْر) فِي تَفْسِيْرِ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى:

(١) ديوان الشافعيّ: ٥٥، وتفسير الكشّاف: ٢/ ٢٣٨، ومعجم الأدباء: ٥/ ٢٠٨، وتفسير الرازي: ٢٧/ ١٦٧، وبحار الأنوار: ٢٣/ ٢٣٤، والمراجعات الريحانيّة: ٢ / ٣٨١، وفضائل الخمسة: ١/ ٢٦٣-٢٦٤، والحقيقة الضائعة: ٢٧٨-٢٧٩. والنبيّ وآله عليهم السلام في الشعر العربي: ٦٢.

(٢) ينظر في: فضائل الخمسة من الصِّحاح الستة.

﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾، قَالَ: أَخْرَجَ ابْنُ الْمُنْذِرِ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَالطَّبَرَانِيّ (٢٦٠-٣٦٠هـ) وَابْنُ مَرْدُويه (ت ٤١٠ هـ) مِنْ طَرِيْقِ سَعِيْدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (ت ٦٨ هـ) قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾، قَالُوا: يَا رَسُوْلَ اللهِ! مَنْ قَرَابَتُكَ هَؤُلَاءِ الذِيْنَ وَجَبَتْ عَلَيْنَا مَوَدَّتُهُمْ؟

قَالَ صلى الله عليه وآله: «عَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَوَلَدَاهُمَا»[١].

وَفِي نُوْرِ الأَبْصَارِ: رَوَى الإِمَامُ أَبُو الحُسَيْنِ البَغَوِيُّ فِي تَفْسِيْرِهِ بِسَنَدِهِ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ (ت ٦٨ هـ) قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيةُ ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾، قالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! مَنْ هَؤُلاءِ الذِينَ أَمَرَنَا اللهُ تَعَالَى بِمَوَدَّتِهِمْ؟

فَقَالَ صلى الله عليه وآله: «عَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَابْنَاهُمَا»[٢].

وَأَخْرَجَ ابنُ سَعْدٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله قَالَ: «اسْتَوْصُوا بِأَهْلِ بَيْتِي خَيْرًا، فَإِنِّي أُخَاصِمُكُمْ عَنْهُمْ غَدًا، وَمَنْ أَكُنْ خَصْمَهُ، خَصَمَهُ اللهُ، وَمَنْ خَصَمَهُ اللهُ، أَدْخَلَهُ النَّارَ»، وَأَخْرَجَ الحَاكِمُ النِّيْسَابُورِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله قَالَ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِي مِنْ بَعْدِي»[٣].

وَالحَدِيْثُ رَوَاهُ الهَيْثَمِيُّ فِي مَجْمعِ الزَّوَائِدِ، وَقَالَ: رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى، وَرِجَالُهُ ثُقَاةٌ[٤].

وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ عَلِيٍّ عليه السلام، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ هَذَيْنِ -يَعْنِي الحَسَنَ وَالحُسَيْنَ- وَأَبَاهُمَا وَأُمَّهُمَا، كَانَ مَعِيَ فِي دَرَجَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ»[٥].

وَرَوَى الإِمَامُ أَحْمَدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنَ حِبَّانَ وَالحَاكِمُ النِّيْسَابُورِيُّ بِسَنَدِهِ عَنْ زَيْدِ بنِ

(١) الدُّرُّ المنثور: ٧/ ٣٤٨.
(٢) نور الأبصار: ١١٢-١١٤، والإمامة وأهل البيت: ٢/ ٤٣٥.
(٣) نور الأبصار: ١١٢-١١٤، والإمامة وأهل البيت: ٢/ ٤٣٥.
(٤) مجمع الزوائد: ٩/ ١٧٤.
(٥) مسند الإمام أحمد: ١/ ٧٧، تحفة الأحوذي ١٠/ ٢٣٧.

أَرْقَم، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، لِعَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَالحَسَنِ وَالحُسَيْنِ عليهم السلام: «أَنَا حَرْبٌ لِمَنْ حَارَبْتُمْ، وَسِلْمٌ لِمَنْ سَالَمْتُمْ»(١).

وَرَوَى ابنَ تَيْمِيَّةَ فِي (رِسَالَةِ فَضْلِ أَهْلِ البَيْتِ وَحُقُوْقِهِمْ): وَقَدْ ثَبَتَ عَنْ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآلِهِ] وسَلَّمَ)، مِنْ وَجُوْهٍ صِحَاحٍ، أَنَّ اللهَ لَمَّا أَنْزَلَ عَلَيْهِ ﷺ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾(٢)، سَأَلَ الصَّحَابَةُ: كَيْفَ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ؟

فَقَالَ ﷺ: «قُولُوا: اللهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»(٣).

وَالآيَةُ المُبَارَكَةُ تُشِيْرُ إِلَى المَنْزِلَةِ الرَّفِيْعَةِ التِي عَلَيْهَا نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ وَآلُهُ الأَطْهَارُ عليهم السلام، فَـ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﴾ وَيَأْمُرُنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالصَّلاةِ عَلَيْهِ ﷺ، أَنْ نُصَلِّيَ عَلَيْهِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ فَنَحْنُ جَمِيْعًا مَأْمُورُوْنَ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالصَّلاةِ عَلَيْهِ ﷺ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾(٤)، أَيْ:

(١) سنن الترمذيّ: ٥/ ٦٥٦، وسنن ابن ماجة: المقدِّمة (باب فضل الحسن والحسين ابني عليّ بن أبي طالب عليهما السلام)، ومسند أحمد: ٢/ ٤٤٢، ٣/ ٦٤٢، والمستدرك: ٣/ ١٤٩.

(٢) الأحزاب: ٣٣/ ٥٦-٥٧.

(٣) الصواعق المحرقة: ٢٣٣، وينظر في: صحيح البخاريّ: ٧/ ١٥٦ كتاب الدعوات، الباب: ٣٢ وصحيح مسلم باب الصلاة على النبيّ (صلَّى الله عليه [وآله] وَسَلَّمَ) بَعْدَ التَّشَهُّدِ: ١/ ٣٠٥: ح: ٦٦ ومسند أحمد: ٤/ ٣٣٠ و٣٣٣: ح: ١٨٠٦٥، فضل أهل البيت وحقوقهم لابن تيمية: ٢٣.

(٤) آل عمران: ٣/ ١٥٩.

فبـ﴿ رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾، (مَا) زَائِدَةٌ نَحْويًّا بِمَعْنَى لَا تَعْمَلُ شَيْئًا بِإِجْمَاعِ الْمُفَسِّرِيْنَ واللُّغَوِيينَ، لَكِنَّهَا تُفِيدُ بَلاغِيًّا فَتُؤَكِّدُ المَعْنَى، وَمِثْلُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ ﴾[1]، أَيْ: فَبِنَقْضِهِم ﴿مِّيثَٰقَهُمْ ﴾، وَمِثْلُهَا ﴿ عَمَّا قَلِيلٍ ﴾[2]، أَيْ: عَنْ قَلِيْلٍ، وَكَقَوْلِ عَنْتَرَةَ:

يَا شَاةَ مَا قَنَصٍ لِـمَنْ حَلَّتْ لَهُ
حَرُمَتْ عَلَيَّ وَلَيْتَهَا لَمْ تَحْـرُمِ[3]

فَإِنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ أَيْ: أَنَّ لِيْنَكَ لَهُمْ سَبَبٌ لِدُخُوْلِهِمُ الإِسْلامَ لِأَنَّكَ مَعَ الحُجَجِ وَالبَرَاهِيْنِ الوَاضِحَةِ القَوِيَّةِ التِي تَسُوْقُهَا لَهُمْ تَتَعَامَلُ مَعَهُمْ بِسَمَاحَةِ أَخْلاقِكَ وَكَرَمِ سَجِيَّتِكَ، ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ وَلَوْ كُنْتَ جَافِيًا سَيِّءَ الخُلُقِ قَاسِيَ الفُؤَادِ لَنَفَرُوا مِنْكَ ﴿ فَٱعْفُ عَنْهُمْ ﴾ فِي فِرَارِهِمْ مِنَ الزَّحْفِ يَوْمَ أُحُدٍ، أَوْ فِي مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ، ﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنِي أَوْ مِنْ ذَنْبِ الفِرَارِ مِنَ الزَّحْفِ يَوْمَ أُحُدٍ.

﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾ أَيْ اسْتَمِعْ إِلَى آرَئِهِمْ، وَانْظُرْ فِي مَا عِنْدَهُمْ.

وَاخْتَلَفُوا فِي فَائِدَةِ مُشَاوَرَتِهِم، وَهُوَ الذِي أَغْنَاهُ اللهُ بِالوَحْيِّ فَعَلِمَ بِالوَحِيِّ العِلْمَ اليَقِيْنَ، فَاسْتَغْنَى بِهِ عَنِ الاسْتِعَانَةِ بِأَقْوَالِ البَشَرِ، فَكَانَ اخْتِلافُهُمْ عَلَى أَقْوَالٍ أَهَمُّهَا:

أَنَّ ذَلِكَ فِي أُمُرِ الدُّنْيَا، وَتَدْبِيْرِ أُمُورِ الحَرْبِ، وَفِي مِثْلِ ذَلِكَ يَجُوْزُ الاسْتِعَانَةُ بِآرَائِهِمْ.

(١) النساء: ٤/ ١٥٥، والمائدة: ٥/ ١٣.

(٢) المؤمنون: ٢٣/ ٤٠.

(٣) البيت من معلقته، (ما) زائدة وكنّى بالشاة عن المرأة فهي شاةُ قَنَصٍ أي صيدٍ يقول: انظروا هذه المرأة واعجبوا من حسنها وجمالها، وليتها لم تحرُمْ عليَّ، أي ليت أبي لم يتزوجها ليحلَّ لي الزواج منها، أو حرِّمت عليه، لاشتعال الحرب بين قبيلتيهما. شرح ديوان عنترة: ؟؟؟؟، وشرح المعلَّقات العشر للزوزنيّ: ٢٥٢، ولسان العرب، شوه: ٧/ ٢٤٤، ومجمع البيان: ٢/ ٣٤.

﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ أَيْ: فَـإِذَا عَقَدَ قَلْبُكَ يَا مُحَمَّـدُ! العَزْمَ عَلَى اتِّخَاذِ القَرَارِ وَإِمْضَائِهِ. وَرَوَوْا عَنْ الإِمَامِ جَعْفَرِ بنِ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ عليهما السلام: (فَإِذَا عَزَمْتُ)[1]، بِضَمِّ التَاءِ، وَهِي قِرَاءَةٌ قَرَأَ بِهَا جَابِرُ بْنُ يَزِيْدَ وَأَبُو نَهِيْكٍ، وَعِكْرِمَةُ[2].

ولنَنْتَفِـعْ من رَأْيِّ هَـذَا العَالِمِ اللـمَّاحِ أَبِي الفَتْحِ عُثْمَانَ بنِ جِنِّـيٍّ (ت٣٩٢هـ.) الذِي يَقُـولُ: «وَتَأْوِيْلُـهُ عِنْـدِي وَاللهُ أَعْلَمُ فـإِذَا أَرَيْتُكَ أَمْرًا فَاعْمَـلْ بِهِ، وَصِرْ إِلَيْهِ. وَشَـاهِدُهُ قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ﴾[3]، وَهَذَا لَيْـسَ مِنْ رُؤْيَةِ العَيْنِ؛ لأَنَّهُ لَا مَدْخَلَ لَهُ فِي الأَحْـكَامِ، وَلَا مِنَ العِلْمِ؛ لأَنَّ ذَلِكَ مُتَعَدٍ إِلَى مَفْعُوْلَيْنِ. فَإِذَا نُقِلَ بِالهَمْزَةِ وَجَبَ أَنْ يَتَعَدَّى إِلَى ثَلَاثَةٍ، وَالذِي مَعَنَا فِي هَذَا الفِعْلِ إِنَّمَا هُوَ مَفْعُـولانِ: أَحَدُهُمَـا الكَافُ وَالآخَرُ الهَاءُ المَحْذُوْفَةُ العَائِدَةُ عَـلَى (مَا)، أَيْ: بِمَا أَرَاكَهُ اللهُ. فَثَبَـتَ بِذَلِكَ أَنَّهُ مِنَ الرَّأْيِ الذِي هُوَ الاعْتِقَادُ، كَقَوْلِكَ: فُلَانٌ يَرَى رَأْيَ الخَوَارِجِ، وَيَرَى رَأْيَ أَبِي حَنِيْفَةَ وَرَأْيَ مَالِكٍ وَنَحْوَ ذَلِكَ؛ فـ(رَأَيْتُ) هَذِهِ إِذًا قِسْـمٌ ثَالِثٌ لَيْسَـتْ مِنْ رُؤْيَةِ العَيْنِ، وَلَا مِنْ يَقِيْنِ القَلْبِ.

وَجَازَ أَنْ يَنْسِـبَ، سُـبْحَانَهُ، العزم إليه إِذْ كَانَ بِهِدَايَتِهِ، وَإِرْشَادِهِ، فَهُوَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾[4]، وَقَـدْ جَـاءَ فِيْـهِ مَا هُوَ أَقْـوَى مَعْنًى مِنْ هَـذَا، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَـالَى: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾[5]، فَخَـرَجَ اللفْـظُ فِيْـهِ نَافِيًـا أَوَّلُـهُ مَا أَثْبَتَهُ آخِرُهُ، وَالغَرَضُ فِيْهِ مَا قَدَّمْنَاهُ مِنْ أَنَّ الرَّمْيَ لَـمَّا كَانَ بِإِقْدَارِهِ وَمَشِـيْئَتِهِ صَارَ كَأَنَّهُ هُوَ الفَاعِلُ لَهُ؛ وَهُوَ كَثِيْرٌ مِنْهُ قَوْلُ الإِنْسَـانِ لِـمَنْ يَنْتَسِـبُ إِلَيْهِ: «إِنَّمَا أَرَى بِعَيْنِكَ وَأَسْمَعُ

(١) المحتسب: ١/ ١٧٦، ومجمع البيان: ٢/ ٣٤٣.
(٢) المحتسب: ١/ ١٧٦.
(٣) النساء: ٤/ ١٠٥.
(٤) آل عمران: ٣/ ١٢٨.
(٥) الأنفال: ٨/ ١٧.

بِأُذُنِـكَ وَالفِعْلُ مِنْكَ، وَإِنَّمَا أَنَا آلَةٌ لَـكَ»[1]، وَعَلَى قِرَاءَةِ (فَإِذَا عَزَمْتُ) يَكُونُ المَعْنَى: فَإِذَا عَزَمْـتُ لَكَ، وَشَرَحْتُ صَـدْرَكَ بِلُطْفِـي، وَوَفَّقْتُكَ وَأَرْشَـدْتُكَ ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ أَيْ فَاسْـتَعِنْ بِـاللهِ رَبِّكَ وَاعْتَمِدْ عَلَيْـهِ وَفَوِّضْ أَمْرَكَ إِلَيْـهِ، وَتَحْمِلُ الآيَةُ دِلالَـةً صَرِيحَةً عَلَى اخْتِصَـاصِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله بِمَـكَارِمِ الأَخْلاقِ، لَقَدْ كَانَ أَجْمَعَ النَّـاسِ لِلتَّرَفُّعِ، وَأَدْنَاهُمْ إِلَى التَّوَاضُعِ، وَأَرْفَعَ النَّاسِ نَسَبًا، فَهُوَ مِنْ ذِرْوَةِ هَاشِمٍ الشُّجْعَانِ الأَسْخِيَاءِ سَادَةِ قُرَيْشٍ، وَكَانَ أَسْـخَاهُمْ وَأَشْـجَعَهُمْ وَأَفْصَحَ مَنْ نَطَقَ بِالضَّادِ عَلَى الإِطْـلاقِ، وَهَذِهِ المَزَايَا كُلُّهَا مِـنْ دَوَاعِي التَّرَفُّعِ، وَكَانَ مِنْ تَوَاضُعِهِ صلى الله عليه وآله أَنَّـهُ كَانَ يَرْقَعُ ثَوْبَهُ وَيَخْصِفُ نَعْلَهُ، وَيَرْكَبُ الحِـمَارَ وَيَرْدِفُ خَلْفَهُ وَيَعْلِـفُ النَّاضِحَ، وَيُجِيبُ دَعْـوَةَ المَمْلُوكِ عَلَى كِسْرَةِ خُبْزِ شَـعِيرٍ، مَـا نُخِـلَ لَهُ قَطُ وَيَجْلِـسُ لِلأَكْلِ عَـلَى الأَرْضِ[2]، فَهُـوَ صلى الله عليه وآله عَبْدُ اللهِ وَرَسُـولُهُ، يَجْلِسُ جِلْسَـةَ العَبْـدِ، وَيَـأْكُلُ أَكْلَـةَ العَبْدِ، قَالَ عَنْهُ شَـاعِرُهُ حَسَّـانُ بْـنُ ثَابِـتٍ الأَنْصَارِيُّ[3] (ت ٥٤هـ):

فَمِثْـلُكَ قَـطُّ لَمْ تَرَ قَبْلُ عَيْنٌ
وَمِثْـلُكَ قَـطُّ لَمْ تَلِـدِ النِّسَـاءُ
خُلِقْتَ مُبَرَّءًا مِنْ كُـلِّ عَيْـبٍ
كَـأَنَّـكَ قَـدْ خُلِقْتَ كَمَا تَشَاءُ

وَقَالَ[4]:

وَمَا حَمَلَتْ مِنْ نَاقَةٍ فَوْقَ ظَهْرِهَا
أَبَـرَّ وَأَوْفَـى ذِمَّـةً مِـنْ مُحَمَّدِ

(١) المحتسب: ١/ ١٧٦.
(٢) مجمع البيان: ٢/ ٣٤١-٣٤٣.
(٣) النبيّ وآله عليهم السلام في الشعر العربيّ: ٢٣.
(٤) الغدير: ٢/ ٤، نقلاً عن: أمالي الطوسيّ: ٤٦، والنبيّ وآله عليهم السلام في الشعر العربيّ: ٢٣.

وقال الشيخ كاظم الأزري (ت ١٢١٢هـ)[١]:

مَا تَنَاهَتْ عَـوَالِـمُ العِلْـمِ إلا
وَإِلَـى ذَاتِ (أَحمَـدٍ) مُنْتَهَاهَـا
أَيُّ خَلْـقٍ للهِ أَعـظمُ مِنـهُ؟!
وَهْـوَ الغَايَةُ التِي اسْتَقْصَاهَـا
قَلَّبَ الخَـافِقَيْنِ ظَهْـرًا لِبَطْنٍ
فَـرَأَى ذَاتَ (أَحْمَدٍ) فَاجْتَبَاهَـا
لَا تُجِلْ فِي صِفَاتِ (أَحْمَدَ) فِكْرًا
فَهْيَ الصُّوْرَةُ التِي لَـنْ تَرَاهَـا

لَقَـدْ وَضَعَ القُـرْآنُ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا صلى الله عليه وآله وسلم، فِي المَوضِعِ الأَبْهَى وَالأَسْـمَى، قبل أن يُنَوِّهَ بِهِ الشُّعَرَاءُ، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الحَمْدُ لِلهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ

(١) أعيان الشيعة: ١/ ٥٥٧، والنبيّ وآله عليهم السلام في الشعر العربيّ: ٨٩.

المصادر

١. القرآن الكريم.

أ. المخطوط:

٢. النحو المبين، لكاتب هذه السطور، آلة كاتبة، مكتبة الدكتور حازم الحِلِّيّ.

ب. المطبوع:

١. أسد الغابة في معرفة الصحابة، لعز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمَّد بن محمَّد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانيّ المعروف بابن الأثير الجزريّ (٥٥٥-٦٣٠هـ/ ١١٦٠-١٢٣٢م)، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٢. أعيان الشيعة، للسيِّد محسن الأمين (١٢٨٤-١٣٧١هـ)، تحقيق حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٣. الإمامة وأهل البيت، للدكتور محمَّد بيُّومي مهران، مركز الغدير للدراسات الإسلاميَّة، بيروت، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٤. أُصول التلاوة، لكاتب هذه السطور، ط٢، دار الفرات، الحِلَّة، العراق، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

٥. بحار الأنوار الجامع لدرر أخبار الأئمَّة الأطهار عليهم السلام، للشيخ محمَّد باقر بن محمَّد تقي المجلسيّ (١٠٣٧-١١١١هـ) ط١، دار إلوفاء، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

٦. البحر المحيط، لأثير الدين محمَّد بن يوسف بن عليّ أبي حيَّان الأندلسيّ (ت ٧٤٥هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٧. البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين محمَّد بن عبد الله الزركشيّ (ت ٧٩٤هـ)، ط١، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٨. تحفة الأحوذيّ بشرح جامع الترمذيّ، للمباركفوريّ، تحقيق عبد الوهَّاب بن عبد اللطيف، دار الفكر، بيروت، ب.ت.

٩. تفسير الرَّازي المعروف بمفاتيح الغيب وبالتفسير الكبير، لفخر الدين أبي عبد الله محمَّد بن ضياء الدين عُمَرَ بن حسين الطَّبرستاني الشَّافعي الرَّازي (٥٤٤-٦٠٦هـ)، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
١٠. تفسير الطَّبري، لأبي جعفر محمَّد بن جرير الطَّبري (ت٣١٠هـ)، نشر دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٤١٢هـ.
١١. تفسير القرآن العظيم، لعماد الدِّين أبي الفداء إسماعيل بن كثير (٧٠١-٧٧٤هـ)، دار الخير، بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
١٢. التفكير الصوتي عند الخليل، لحلمي خليل، ط١، الإسكندريَّة، ١٩٨٨م.
١٣. الجامع لأحكام القرآن، لمحمد بن أحمد الأنصاريّ القرطبيّ (ت٦٧١هـ)، تحقيق الدكتور محمَّد إبراهيم الحفناويّ، دار الطباعة الحديثة، القاهرة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
١٤. الحقيقة الضَّائعة، لمعتصم سيِّد أحمد السُّوداني، ط١، دار الحسين للطِّباعة و النَّشر، قم، ١٤٢٠هـ.
١٥. خزانة الأدب، لابن حُجَّة الحموي (ت٨٣٧هـ) المطبعة الخيرية، القاهرة.
١٦. الخِصال، للشَّيخ الصَّدوق أبي جعفر محمَّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمِّيّ (ت٣٨١هـ)، تحقيق عليّ أكبر الغفَّاري، ط٥، مؤسَّسة النَّشر الإسلاميّ، لجماعة المدرِّسين، قم، ١٤١٦هـ.
١٧. الخليل بن أحمد الفراهيديّ أعماله ومنهجه، للدكتور مهدي المخزوميّ، ط٢، دار الرائد العربيّ، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
١٨. الخليل رائد علم الصوت، بحث لكاتب هذه السطور، ط٢ دار الفرات، الحِلَّة، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.
١٩. الخليل صاحب العين، للدكتور سعيد جاسم الزُّبيديّ، دار أسامة للنَّشر، عَمَّان، الأردن، ٢٠٠٧م.
٢٠. الدُّرُّ المنثور في التَّفسير بالمأثور، لجلال الدين عبد الرحمن السُّيُوطيّ (ت٩١١هـ)، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
٢١. دلائل الصِّدق لنهج الحقِّ، للشَّيخ محمَّد حسن المظفَّر (ت١٣٧٥هـ)، ط١، تحقيق مؤسَّسة آل البيت لإحياء التُّراث، قم، ١٤٢٢-١٤٢٦هـ.
٢٢. ديوان الشَّافعي، لمحمَّد بن إدريس الشَّافعي، تحقيق محمَّد عليّ الأبطحيّ، ط٢، دار الخير، بيروت. ب.ت.
٢٣. ديوان صفيّ الدين الحِلِّيّ، عبدالعزيز بن سرايا بن عليّ السَّنبسي الطَّائي (٦٧٧-٧٥٠هـ)، تحقيق الدكتور عُمَر فاروق الطَّبَّاع، ط١، شركة الأرقم، بيروت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٢٤. ذخائر العُقبى، لأحمد بن عبد الله محبِّ الدين الطَّبريِّ (ت٦٩٤هـ)، مؤسَّسة الوفاء، بيروت، ١٤٠١هـ.
٢٥. أبو زكريا الفرَّاء ومذهبه في النَّحو واللغة، للدكتور أحمد مكِّيّ الأنصاريّ، مطبوعات المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، القاهرة، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.
٢٦. سنن التِّرمذيِّ وهو الجامع الصحيح، لأبي عيسى محمَّد بن عيسى بن سورة التِّرمذيّ (ت٢٧٩هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
٢٧. سنن أبي داوود، لأبي داوود سليمان بن الأشعث السِّجستاني الأزدي (ت٢٧٥هـ)، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ.
٢٨. سيبويه حياته وكتابه، للدكتورة خديجة عبد الرزاق الحديثيّ، دار الحريَّة للطِّباعة والنَّشر، بغداد، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.
٢٩. سيبويه حياته وكتابه، للدكتور أحمد بدوي، مقالة نُشرت في صحيفة دار العلوم للغة العربيَّة وآدابها والدراسات الإسلاميَّة لجماعة دار العلوم القاهرة، الصَّادرة في يناير (كانون الثاني)، ١٩٤٨م.
٣٠. السِّيرة النبوية، لأبي محمَّد عبد الملك بن هشام (ت٢١٨هـ)، تحقيق مجدي فتحي السيِّد، ط١، دار الصحابة في طنطا، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.
٣١. شرح ديوان عنترة، لأبي زكريَّا يحيى بن عليّ الخطيب التِّبريزيّ (ت٥٠٢هـ)، تحقيق مجيد طراد، ط١، دار الكاتب العربيّ، بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
٣٢. شرح الكافية البديعيَّة في علوم البلاغة ومحاسن البديع، لصفيِّ الدين عبد العزيزبن سرايا بن عليّ السَّنبسيّ الحِلِّيّ (٦٧٧-٧٥٠هـ)، تحقيق الدكتور نسيب عبد الحميد نشاوي، مجمع اللغة العربيَّة في دمشق، ط٢، دار صادر، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
٣٣. شواهد التَّنزيل، للحافظ الحَسَكانيّ أبي القاسم عُبيد الله بن عبد الله النِّيسابوريّ الحنفيّ (ت٤٧٠هـ)، تحقيق الشَّيخ محمَّد باقر المحموديّ، بيروت، ١٣٩٣هـ.
٣٤. صحيح البخاريّ، لمحمَّد بن إسماعيل البخاريّ (ت٢٥٦هـ)، دار الطِّباعة العامرة، إستانبول، ١٣١٥هـ، طبعة دار القلم، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.
٣٥. صحيح مسلم. لأبي الحسين مسلم بن الحجَّاج القُشيريّ النِّيسابوريّ (ت٢٦١هـ)، تحقيق محمَّد فؤاد عبد الباقي (ت١٣٨٨هـ)، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.
٣٦. الصَّواعق المحرقة، لأحمد بن حجر الهيتميّ (ت٩٧٤هـ)، دار الكتب العلميَّة، بيروت ١٤١٤هـ.

٣٧. فضل أهل البيت وحقوقهم، لأحمد بن عبد الحليم بن تيميَّة (٦٦١-٧٢٨هـ)، ط١، جدَّة، دار القبلة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.
٣٨. عقائد الإماميَّة، للشَّيخ محمَّد رضا المظفَّر (ت١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م)، ط٢، مركز الأبحاث العقائديَّة، قم، ١٤٢٢هـ.
٣٩. فتح الباري شرح صحيح البخاريّ، لأحمد بن عليّ بن حجر العسقلانيّ (ت٨٥٢هـ)، تحقيق محمَّد فؤاد عبد الباقي (ت١٣٨٨هـ)، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.
٤٠. فرائد السِّمطين، للشَّيخ المحدِّث إبراهيم بن محمَّد بن المؤيَّد الجُوينيّ الحَمَوينيّ الخراسانيّ (ت٧٣٠هـ)، تحقيق محمَّد باقر المحموديّ، مؤسَّسة المحموديّ للطباعة والنَّشر، بيروت ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.
٤١. فضائل الصحابة، لأحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)، تحقيق وصيّ الله بن محمَّد عبَّاس، ط٢، دار ابن الجوزيّ، الرِّياض، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
٤٢. القاموس المحيط، لمجد الدين محمَّد بن يعقوب الفيروز آباديّ (ت٨١٧هـ)، مطبعة عيسى البابيّ الحلبيّ، القاهرة، ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م.
٤٣. قبس من أسرار القرآن الكريم، بحث لكاتب هذه السُّطور، مجلَّة المصباح، العدد ١٣ لسنة ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.
٤٤. الكشَّاف عن حقائق التَّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التَّأويل، لأبي القاسم جار الله الزَّمخشريّ الخوارزميّ (ت٥٣٨هـ)، تحقيق الشَّيخ عادل أحمد عبد الموجود والشَّيخ عليّ معوَّض والدكتور فتحي عبد الرَّحمن أحمد حجازي، ط١، مكتبة العبيكان، الرِّياض، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
٤٥. الكشف والبيان المعروف بتفسير الثَّعلبيّ، لأبي إسحاق محمَّد بن إبراهيم الثَّعلبيّ النَّيسابوريّ (ت٤٢٧هـ)، تحقيق محمَّد بن عاشور، دار إحياء التُّراث العربيّ، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.
٤٦. كنز العمَّال، لعلاء الدين عليّ بن حسام الدين المتَّقي الهنديّ (ت٩٧٥هـ)، مؤسَّسة الرِّسالة، بيروت، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
٤٧. كنز الفوائد، لأبي الفتح الشيخ محمَّد بن عليّ بن عثمان الكراجكيّ الطرابلسيّ (ت٤٤٩هـ)، دار الأضواء، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، وطبعة تبريز، ١٣٢٢هـ.
٤٨. لسان العرب، لمحمَّد بن مكرَّم بن عليّ بن منظور الأنصاريّ (ت٧١١هـ)، تحقيق أمير محمَّد عبد الوهَّاب ومحمَّد صادق العُبيديّ، ط٢، دار إحياء التُّراث العربي، بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
٤٩. لطائف قرآنيَّة، للدكتور صلاح عبد الفتَّاح الخالديّ، ط١، دار القلم، دمشق، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٥٠. مجمع البيان في تفسير القرآن، لأبي عليّ الفضل بن الحسن الطَّبرسيّ (ت٥٤٨هـ)، ط١، دار العلوم، بيروت، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
٥١. مجمع الزَّوائد ومنبع الفوائد، لنور الدين عليّ بن أبي بكر الهيثميّ (ت٨٠٧هـ)، ط١، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٤٠٨هـ.
٥٢. مختارات القاموس، للطاهر أحمد الزاوي (ت١٩٨٦م)، الدار العربيَّة للكتاب، ليبيا- تونس، ١٩٧٩-١٩٨٠م.
٥٣. مدرسة البصرة النَّحويَّة، للدكتور عبد الرحمن السَّيد، ط١، دار المعارف بمصر، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.
٥٤. مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، للدكتور مهدي المخزوميّ، ط٢، مطبعة مصطفى البابى الحلبيّ، القاهرة، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م.
٥٥. المستدرك على الصَّحيحَين، لأبي عبد الله محمَّد بن عبد الله الحاكم النَّيسابوري (ت٤٠٥هـ)، طبعة متضمِّنة انتقادات الذَّهبيّ، وبذيله تتبُّع أوهام الحاكم التي سكت عَليها الذَّهبيُّ، لأبي عبد الرحمن مقبل بن هادي الوداعيّ، دار الحرمَين للطِّباعة والنَّشر، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
٥٦. مسند الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤-٢٤١هـ)، تحقيق شُعيب الإرناؤوط وجماعته، ط١، مؤسِّسة الرِّسالة، بيروت، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.
٥٧. معجم الأدباء المعروف بإرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، لياقوت بن عبد الله الحمويّ (ت٦٢٦هـ)، ط١، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
٥٨. المعجم الكبير، للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخميّ الطَّبرانيّ (ت٣٦٠هـ)، بغداد، ١٩٨٤م.
٥٩. معدِن الجواهر ورياضة الخواطر، لأبي الفتح محمَّد بن عليّ بن عثمان الكراجكيّ (ت٤٤٩هـ) المكتبة المرتضويَّة، ط٢، مطبعة مهر، قم، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.
٦٠. المراجعات الريحانيَّة، للشَّيخ محمَّد حسين كاشف الغطاء (١٢٩٤-١٣٧٣هـ/ ١٨٧٧-١٩٥٤م)، ط١، تحقيق السَّيِّد محمَّد عبد الحكيم الصَّافي، دار الهادي، بيروت، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
٦١. مناقب أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، لابن المغازليّ عليّ بن محمَّد بن محمَّد بن الطيِّب بن أبي العليّ الواسطيّ الشافعيّ (ت٤٨٣هـ)، تحقيق أبي عبد الرحمن تركي بن عبد الله الوادعيّ، ط١، بيروت، ١٤٢٤/ ٢٠٠٣م.
٦٢. الميزان في تفسير القرآن، للسَّيِّد محمَّد حسين الطَّباطبائيّ (١٣٢١-١٤٠٢هـ/ ١٩٠٤-١٩٨٢م)، ط١، مؤسَّسة الأعلميّ، بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٦٣. النَّبيّ وآله عليهم السلام في الشِّعر العربيّ، لكاتب هذه الحروف، ط١، مؤسَّسة البلاغ، بيروت، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.
٦٤. نهج البلاغة، للإمام عليّ بن إبي طالب عليه السلام، شرح الشَّيخ محمَّد عبده (ت١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م)، ط١، الدَّار الإسلاميَّة، بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
٦٥. نور الأبصار في مناقب آل بيت النبيّ المختار، للسَّيِّد مؤمن بن حسن الشِّبلنجيّ الشَّافعيّ (استُشهد١٢٩١هـ أو ١٣٠٨هـ)، دار الفكر، بيروت، ب.ت.
٦٦. ينابيع المودَّة لذوي القربى، للشَّيخ سليمان بن إبراهيم القندوزيّ الحنفيّ (١٢٢٠- ١٢٩٤هـ)، ط١، مؤسَّسة الأعلميّ، بيروت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.